الوارث -١٦-

نشرة شهرية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ربيع الأول ١٤٣١ هـ
آذار ٢٠١٠ م

أسعد الله أيامنا وأيامكم بمناسبة المولد النبوي الشريف

البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد

صفحات الوارث...

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
الإمام الحسين عليه السلام يصف جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله

٤ شعراء قالوا في الإمام الحسين عليه السلام

٥ إهتمام الإمام الحسين عليه السلام بالشعر والشعراء

٦ في رحاب علوم القرآن / طريقة معرفة المكيّ والمدنيّ

٧ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
من معاجز الإمام الحسين عليه السلام

٨ على ضفاف نهج البلاغة
المجتمع والطبقات الإجتماعية في نهج البلاغة / القسم الأول

١٠ محطات ثقافية / وسائل الإعلام والتواصل الثقافي

١٢ أخلاقك هويتك / فضائل الأخلاق ورذائلها

١٤ مباحث عقائدية / مبحث إثبات التوحيد وأقسامه
القسم الرابع

١٦ أعلام الشيعة / حمران بن أعين المشهود له بالجنة

١٧ عبر من التاريخ / موعظة - نبش قبر الحر الرياحي

١٨ شؤون الأسرة / الأسئلة العلمية لدى الأطفال

٢٠ معارف عامة / القرنفل

٢١ معارف عامة / الشمس

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

نلفت عناية الأخوة المؤمنين إلى أن هذه النشرة تحتوي على كلمات مقدسة لذا نرجو عدم رميها في أماكن لا تليق بها أو حرقها أو استخدامها فيما يعد إنتهاكاً لهذه الكلمات ولكم الأجر والثواب...

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
- وزارة الثقافة لسنة ٢٠١٠ - ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email: info@imamhussain-lib.org

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

ليشع نوره في قلوبنا

بزغ نور الهداية، وأشرقت الأرض بنور ربها، ومنعت الشياطين من استراق السمع والعروج إلى السماء، وتهدمت أواوين كسرى، وانطفأت نار الفرس، وسقطت الأصنام، وتباشرت ذراري المؤمنين وهي في أصلاب آبائها، وصدحت أصوات أهل العدل مدوية قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

ففي السابع عشر من ربيع الأول امتلأت أركان المعمورة بنور النبوة وضحكت جبال مكة فرحاً وتهلل وجه سيد البطحاء بقدوم فخر الكائنات، ويالها من بشرى، ولد النذير البشير، وحلّ في الأرض العطاء الوفير، وتبددت قطع الليل المظلم بنور السراج المنير، ونزلت الملائكة لتحرس السماء لتدفع الشيطان وجنده عن وليد البطحاء، في هذا اليوم الميمون تشرفت الأرض بحضور حامل وسام القرآن الكريم ورافع راية الأدب والأخلاق، ممدوح الإله بقوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» فتجسدت نواميس الحياة وقوانين العشرة في شخصية هذا الوليد المبارك وصار المرآة العاكسة لصفات الحق سبحانه حتى تلبست الفضائل بشخصه الأكرم وتجلبب هو بالكمال والسمو فقال في حقه مؤدبه وربه سبحانه «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» فهو عين الرحمة بل هو عين كل فضيلة لذا استحق أن يكون القدوة والأسوة الحسنة، وهذا ما حدى بالقرآن الكريم أن يتعبدنا بالتأسي والاقتداء به في قوله: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» فليشع نوره في قلوبنا قبل أن يستولي عليها الظلام، وليكن قدوتنا في كل السنين والأيام.

المشرف العام

الإمام الحسين عليه السلام يصف جدّه

قال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخما، مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا، متماسكا، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفؤا ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.

قال: فقلت: فصف لي منطقه؟

فقال: كان صلى الله عليه وآله وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا (لينا)، ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئا، غير أنه كان لا يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام.

إلى هاهنا رواه أبو القاسم بن منيع، عن إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد، والباقي رواية عبد الرحمن إلى آخره.

قال الحسن صلوات الله عليه: وكتمتها الحسين عليه السلام زمانا ثم حدثته به، فوجدته قد سبقني إليه فسألته عما سأله عنه، فوجدته قد سأل أباه عن مدخل النبي صلى الله عليه وآله ومخرجه ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئا.

قال الحسين عليه السلام: سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فإذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم منه شيئا وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم في ما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم، وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقيد من أحد عثرة، يدخلون روادا، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

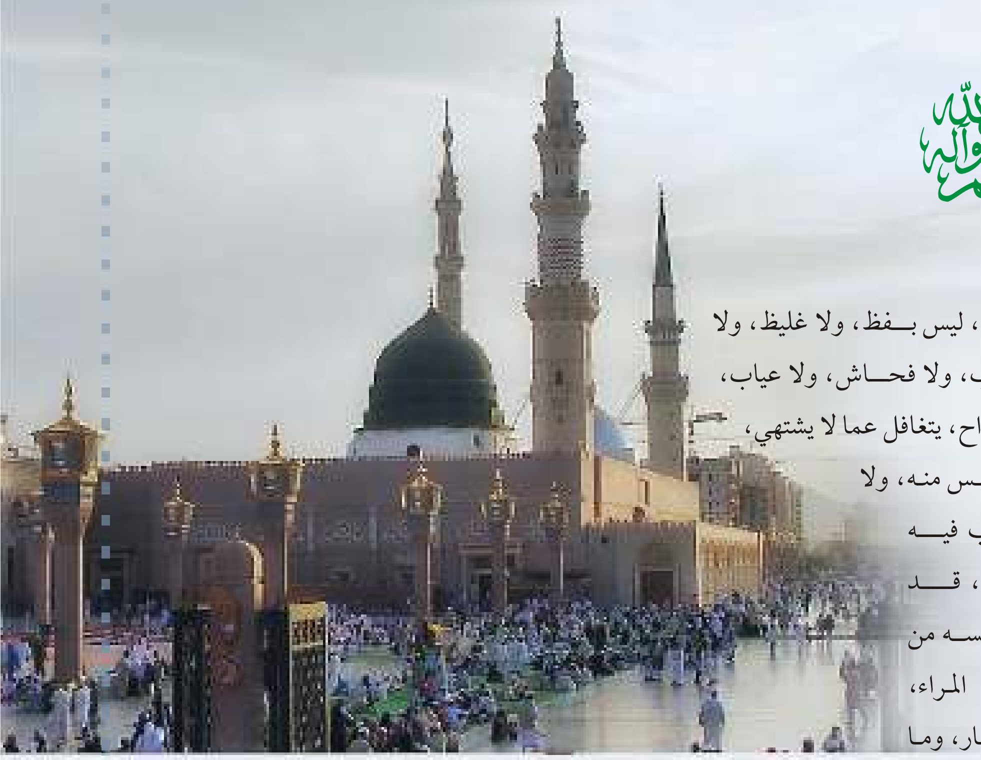

قال عليه السلام: فسألته عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويهونه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا، أو يملوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه؟ فقال: كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، ولا ترتفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كانت سيرته في جلسائه؟

فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته عن سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.

فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة. هذا آخر ما رواه عبدان.[1]

وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي عليهما السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أصبح وهو مهموم، فقيل: مالك يا رسول الله؟!

فقال: إني أريت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله! لا تهتم فإنها دنيا تنالهم.

فأنزل الله:

(وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ)[2][3][4].

١ـ معاني الأخبار: ٧٩ حديث١، مجمع الزوائد ٨: ٢٧٤، ومكارم الأخلاق: ٨.

٢ـ الإسراء: ٦٠.

٣ـ الغدير ٨ـ ٢٤٨.

٤ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، ص٥٧٢ ـ ٥٧٥.

شعراء قالوا في الإمام الحسين عليه السلام

الحلقة الأولى

خذ حقنا منه

هذه الأبيات منسوبة إلى علي بن الحسين السجاد عليه السلام ـ الذي استشهد ـ سنة ٩٥هـ أنشأها لدى توجهه إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بعد العودة من الأسر. وضعف الأبيات واللغة أحياناً يضعف النسبة.

إلى جدنا نشـــكو عداةً تحكموا ... ونالوا بـــــنا والله كل مناءِ
ويـا جدنـا أردوا أبي متذلـلا ... قـتيلاً وفي الاحشـاء حـر ظماء
وقـد رفعوا رأسـاً له فوق ذابـل ... كما البـدر يبـدو في علو سماء
وعادوا علينا ينهبـــون خيامنا ... وليس لنا في ذاك مـن نصـراء
وقـــد حملونا فوق ظهر جمالهم ... بـــغير وطاء ـ جدنا ـ وغطاء
وطافوا بـنا شـرق البـلاد وغربها ... جميعهـم يهجوننـا بهجـاء
وجاؤوا بـنا ذلاً دمشـق يزيدهم ... وقـد أوقـفونا عنده بسـواء
وقـال لقـد نلت المنى كل مقصد ... بقـتل أخيكم قـد بـلغت هنائي
وقد رام قـتلي كي يقطـع نسـلنا ... وذي عمي صاحـت بـغير عزاء
وصاح بـــه كل الحضور جميعهم ... فقـــال دعوه ذا من الطلقـــاء
فخذ حقـــنا يا جدنا منه في غد ... وفي يوم حشـر يوم فصل قـضاء
غدا يستحــــل الآن كل محرم ... يبـيح بـأهل البـيت كل رداء
إذا يستبـــــيح الآن آل محمدٍ ... ويسقــي لأهل البـيت كل رداءِ
سـيوفهم قـد جردت في رقابنا ... فيا ويلهم من حـــــر نار لظاء
فقابـلهم يا رب عدلاً بـفعلهم ... أيـا مـن تعالى فـوق كـل سماء

---

١ ـ المنى جمع منية، ومدت للقافية

٢ ـ أرداه: أهلكه.

قوله: «متذللاً» لا يناسب الإمام الحسين عليه السلام وقد تردد هذا التعبير في عدة أبيات من بعض الشعراء وهم يريدون تبيان حالة الأسى فيخطئون التعبير.

الظمأ: العطش.

٣ ـ الذابل: الرمح الدقيق.

٤ ـ نصراء: جمع نصير، أي ناصر، كخطيب وخطباء.

٥ ـ لا يخفى أن الصحيح أن يقول: «ظهور جمالهم» وبه يختل الوزن.

الوطاء: ما يفترش، وعكسه الغطاء.

٦ ـ هجاه: وقع فيه وشتمه، ومن هوان الدنيا على الله أن تقتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتهجى.

٧ ـ يحتمل نصب «يزيد» أي جاؤوا بنا يزيد.

لعله أراد بـ(سواء) سواء النهار: أي منتصفه، أو المكان السواء: أي مستو طوله وعرضه، كناية عن المسجد، أو العدل والمثل، أي أوقفونا عنده سواء بسواء، تظلماً من غدر الأيام حيث ساوت بين أهل البيت وبين بني أمية، وشتان بينهما.

٨ ـ كل مقصد: أي وكل مقصد.

الأخ: الصاحب، والمراد: الإمام الحسين عليه السلام.

الهناء: المسرة.

٩ ـ رام الشيء: ناله طلبه.

عزي عزاء: صبر على ما نابه.

١٠ ـ أطلق الأسير: خلى سبيله، كأنه يمن عليه بإطلاق سراحه وعدم قتله، وما عشت أراك الدهر عجبا. ولعله أراد الكناية بهذه التسمية في مقابل تسمية آل أمية بالطلقاء منذ يوم فتح مكة.

١١ ـ منه: أي من يزيد.

١٢ ـ غدا: صار.

أباح الشيء: أجازه.

سفك الدم: صبه وأراقه.

١٣ ـ لعل (إذا) تصحيف (غدا)، وإلا لاحتاجت الجواب.

استباح الشيء: جعله مباحاً جائزاً.

الردى: الهلاك، ومدت القافية، ولم تعثر على الرداء بمعنى الردى.

١٤ ـ جرد السيف: سله.

في رقابنا: أي بسبب رقابنا ومن أجل قتلنا، ولو قال: «قد أعلمت» مثلاً لكان أسلم. لظى جهنم

١٥ ـ السماء: العلو، والعالي.

١٦ـ ديوان القرن الأول: محمد صادق الكرباسي، ج١ ص٢٢ـ٢٥.

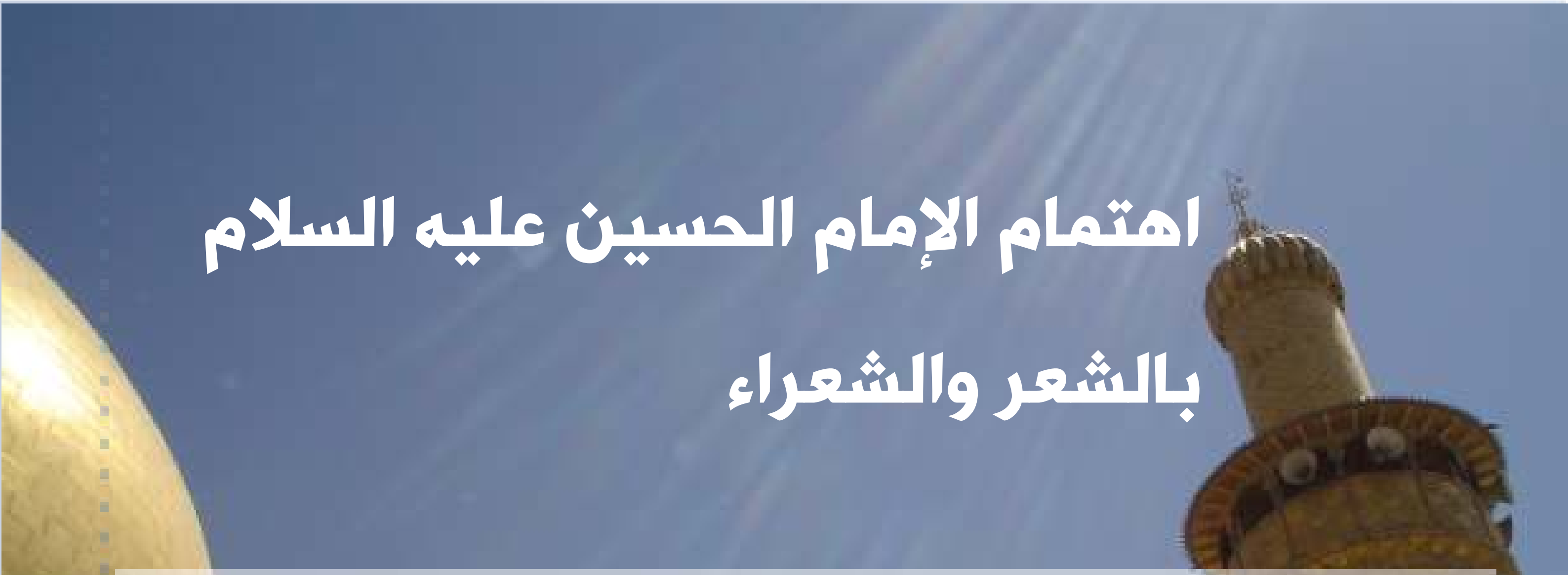

اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بالشعر والشعراء

إن المتتبع لسيرة إمام الإباء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، يرى أنه كان يعير اهتمامه للشعر بل للشعراء أيضاً.

أما بالنسبة إلى الأمر الأول فيكفي إلقاء نظرة على القسم الثاني من هذا الديوان الذي أوردنا فيه عدداً من الأبيات التي استشهد الإمام عليه السلام، بها في خطبه وكلامه وحواراته، كما هو الحال في استشهاده بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أمرين:

الأول: اهتمام الإمام بالشعر وتذوقه للأدب الرفيع الذي حملته هذه الأبيات من الحكمة والمعاني السامية.

الثاني: إن المجتمع كان ذواقاً للشعر، وللشعر تأثير في تقبله للمفاهيم التي استهدفها الإمام عليه السلام من خلال كلامه وإنشاده، والشعر كان وما يزال أكثر التصاقاً بالذاكرة من النثر خاصة، إذا كان هذا الشعر من عيونه.

وبغض النظر عن صحة نسبة إنشاء الشعر إلى الإمام الحسين عليه السلام، فإن إنشاده للشعر هو الوجه الآخر لاهتمامه بهذا الجانب الأدبي.

وقد تقدم الحديث عن شعر الإمام الحسين عليه السلام بشكل جانبي في مقدمة باب الدواوين «المدخل إلى الشعر العربي القريض»[1].

وأما الظاهرة الثانية فهي اهتمامه بالشعراء، فقد ذكر المؤرخون موارد متعددة لحوار الإمام عليه السلام مع عدد من فحول الشعراء نذكر ما تيسر منها:

١. مع النابغة الجعدي حسان بن قيس المضري[2]

فلقد روى الجوهري[3] بإسناده[4] أنه أراد الرجوع إلى ديرته فدخل أيام عثمان[5] على الحسن والحسين ابني علي عليه السلام، فودعهما، فقالا له: أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى فأنشدهما قصيدته من المنسرح: والتي يذكر فيها ضروب التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار ومطلعها:

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما

فقالا: يا أبا ليلى ما كنا نروي هذا الشعر إلا لأمية بن أبي الصلت[6].

فقال: يا بني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إني لصاحب هذا الشعر وأول من قاله، وأن السروق لمن سرق شعر أمية[7].

٢ـ الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة[8] التميمي:

كان على صلة بالإمام الحسين عليه السلام، وكانت له مكانة عنده، ويروى[9]:

أن آخر لقاء للفرزدق بالإمام الحسين عليه السلام كان في التنعيم[10] يوم السادس من ذي الحجة عام ٦٠ هـ فقال له الحسين عليه السلام ما وراءك؟ قال: يا بن رسول الله، أنفس الناس معك، وأيديهم عليك. قال عليه السلام: ويحك، معي وقر[11] بعير من كتبهم يدعونني، ويناشدونني الله.

ووقع بينهما حوار وسأله عن مسائل شرعية ثم افترقا ولما قتل الحسين عليه السلام، قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها، وتبقى هيبتها، وان صبرت عليه، ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر[12]، وأنشد في ذلك من الطويل:

فإن أنتم لم تثأروا لابن خيركم ... فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل[13][14].

١ـ راجع فصل جواز الشعر من المدخل إلى الشعر من هذه الموسوعة.

٢ـ النابغة الجعدي: ولد عام ١٧٠ ق.هـ وتوفي نحو عام ٥٠ هـ أسلم على أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحسن إسلامه، شهد مع علي عليه السلام صفين، وكان من المعمرين، وهو شاعر مخضرم لم يشرب الخمر في الجاهلية وقيل له النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة ولم ينظم شعراً ثم نبغ فنظم، ومنهم من سماه قيس، وقيل غير ذلك.

٣ـ الجوهري: هو أحمد بن عبد العزيز: المكنى بأبي بكر، كان حياً في شهر ربيع الثاني عام ٣٢٢ هـ حيث قرئت عليه نسخة من كتابه السقيفة وفدك، وبما أنه روى عن محمد بن زكريا بن دينار الغلابي المتوفى عام ٢٩٨ هـ فيقتضي أن تكون ولادته قبل عام ٢٨٠هـ، قال عنه القمي في الكنى والألقاب: ١٦٣/٢ «كان عالماً محدثاً كثير الأدب ثقة ورعاً أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته، وكان ابن أبي الحديد كثير النقل عنه».

٤ـ إسناده: فقد روى الجوهري عن عمر بن شبة عن مسلمة بن محارب.

٥ـ ولي عثمان بن عفان الأموي بعد عمر بن الخطاب عام ٣٣ هـ وقتل عام ٣٥هـ بعد أن نقم عليه المسلمون من تولي أقاربه من بني أمية مقاليد الأمور، وفضلهم بل خصهم بالهبات وكانت ولادته عام ٤٧ ق.هـ.

٦ـ أمية: هو ابن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي المتوفى عام ٥ للهجرة، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام كان ممن حرم على نفسه الخمر وعبادة الأوثان ـ كاد أن يسلم إلا أنه لم يوفق.

٧ـ راجع الأغاني: ١٤/٥، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ١٨٤.

٨ـ الفرزدق: ولد عام ٣٨ هـ وتوفي عام ١١٠ هـ بالبصرة، كان من فحول الشعراء ومن الموالين لأهل البيت النبوي، وقيل عن شعره لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، وكان من عزة نفسه أنه لا ينشد الشعر بين يدي الحكام إلا قاعداً، وقد جمع أخباره وأدبه في كتاب نقائض جرير والفرزدق، وله ديوان عرف باسمه.

٩ـ روى أبو الفرج الأصفهاني عن عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن القحذمي.

١٠ـ التنعيم: موضع على مقربة من مكة المكرمة، وهو أدنى الحل إليها وتقع في طريق المدينة على بعد أربعة فراسخ أي ٢٢ كيلومتراً تقريباً.

١١ـ الوقر: الحمل.

١٢ـ ويبدو أن كلام الفرزدق قد تحقق وصح تنبؤه، فالذل الذي أصاب العرب جاء من يوم مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

١٣ـ راجع الأغاني: ١٢ / ٣٦١، وأعيان الشيعة: ٥٩٤/١ و: ١٠/٢٦٨، ديوان القرن الثاني: ١٤٨.

١٤ـ ديوان الإمام الحسين عليه السلام، من الشعر المنسوب إليه: محمد صادق الكرباسي، ج١ ـ ص١٦ ـ ١٨.

طريقة معرفة المكي والمدني

الحلقة الثانية

بدأ المفسرون عند محاولة التمييز بين المكي والمدني بالاعتماد على الروايات والنصوص التاريخية التي تؤرخ السورة أو الآية وتشير إلى نزولها قبل الهجرة أو بعدها، وعن طريق تلك الروايات والنصوص التي تتبعها المفسرون واستوعبوها، استطاعوا أن يعرفوا عدداً كبيراً من السور والآيات المكية والمدنية ويميزوا بينها.

وبعد أن توفرت لهم المعرفة بذلك اتجه كثير من المفسرين الذين عنوا بمعرفة المكي والمدني إلى دراسة مقارنة لتلك الآيات والسور المكية والمدنية التي اكتشفوا تأريخها عن طريق النصوص، وخرجوا من دراستهم المقارنة باكتشاف خصائص عامة في السور، فجعلوا من تلك الخصائص العامة مقاييس يقيسون بها سائر الآيات والسور التي لم يؤثر توقيتها الزمني في الروايات والنصوص، فما كان منها يتفق مع الخصائص العامة للمدني وأكثر انسجاما معها، أدرجوه ضمن المدني من الآيات بالسور. وهذه الخصائص العامة التي حددت المكي والمدني بعضها يرتبط بإسلوب الآية والسورة، كقولهم: إن قصر الآيات والسور وتجانسها الصوتي من خصائص القسم المكي، وبعضها يرتبط بموضوع ومضمون النص القرآني كقولهم مثلاً: أن مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم من خصائص السور المكية ومجادلة أهل الكتاب من خصائص السور المدنية.

ويمكن تلخيص ما ذكروه من الخصائص الإسلوبية والموضوعية للقسم المكي فيما يأتي:

١. قصر الآيات والسور وإيجازها وتجانسها الصوتي.

٢. الدعوة إلى أصول الإيمان بالله والوحي وعالم الغيب واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.

٣. الدعوة للتمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.

٤. مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

٥. استعمال السورة لكلمة يا أيها الناس، وعدم استعمالها لكلمة يا أيها الذين آمنوا.

وقد لوحظ أن سورة الحج تستثنى من ذلك لأنها استعملت الكلمة الثانية بالرغم من انها مكية[1] فهذه الخصائص الخمس يغلب وجودها في السور المكية.

وأما ما يشيع في القسم المدني من خصائص عامة فهي:

١ـ طول السورة والآية وإطنابها.

٢ـ تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.

٣ـ مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.

٤ـ التحدث عن المنافقين ومشاكلهم.

٥ـ التفصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين السياسية والاجتماعية الدولية.

موقفنا من هذه الخصائص

وما من ريب في أن هذه المقاييس المستمدة من تلك الخصائص العامة تلقي ضوءاً على الموضوع، وقد تؤدي إلى ترجيح لأحد الاحتمالين على الآخر في السور التي لم يرد نص بأنها مكية أو مدنية، فإذا كانت إحدى هذه السور تتفق مثلا مع السور المكية في إسلوبها وإيجازها وتجانسها الصوتي وتنديدها بالمشركين وتسفيه أحلامهم، فالأرجح أن تكون سورة مكية لاشتمالها على هذه الخصائص العامة للسورة المكية.

ولكن الاعتماد على تلك المقاييس إنما يجوز إذا أدت إلى العلم، ولا يجوز الأخذ بها لمجرد الظن. ففي المثال المتقدم حين نجد سورة تتفق مع السور المكية في إسلوبها وإيجازها، لا نستطيع أن نقول بأنها مكية لأجل ذلك، إذ من الممكن أن تنزل سورة مدنية وهي تحمل بعض خصائص الإسلوب الشائع في القسم المكي كما في سورة النصر وغيرها، صحيح أنه يغلب على الظن حينذاك أن السورة مكية لقصرها وإيجازها، ولكن الأخذ بالظن لا يجوز لأنه قول من دون علم (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ). وأما إذا أدّت تلك المقاييس إلى الاطمئنان والتأكد من تاريخ السورة وأنها مكية أو مدنية فلا بأس بالاعتماد عليها عند ذلك. ومثاله النصوص القرآنية التي تشتمل على تشريعات للحرب والدولة مثلاً، فإن هذه الخصيصة الموضوعية تدل على أن النص مدني، لأن طبيعة الدعوة في المرحلة الأولى التي عاشتها قبل الهجرة لا تنسجم إطلاقاً مع التشريعات الدولية، فنعرف من أجل هذا أن النص مدني نزل في المرحلة الثانية من الدعوة أي في عصر الدولة[2].

١ـ سورة الحج مدنية وليست مكية، وتستعمل فيها الكلمة الأولى والثانية، ولكن الأولى أكثر. كما أن سورة الحجرات مدنية بلا إشكال وتستعمل فيها كلمة (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) المؤلف.

٢ .علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ص٨٤ـ٨٦.

من معاجز الإمام الحسين عليه السلام

قصة شفاء أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية من مرض عضال

وذكر الشبراوي في كتاب (الإتحاف بحب الأشراف) عند ذكره لكرامات المشهد الحسيني بمصر، قال نقلا عن الشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية:

(أصابني مرض شديد عجز عنه الأطباء وطال بي ذلك المرض فلازمت زيارة مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه، كل يوم بقصد الشفاء من ذلك المرض غير أني تركت الزيارة يوم الثلاثاء لكثرة الازدحام فمكثت على ذلك ثلاث جمع لا أزور في يوم الثلاثاء ولكن أزور كل يوم في غيره من الأيام فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ رأيت كأني واقف على باب الضريح الشريف وإذا بثلاث رجال خرجوا من الضريح وعليهم ثياب بيض على هيئة عرب الحجاز فوقع في نفسي أن فيهم الإمام الحسين عليه السلام فتبعتهم حتى جاؤوا وجلسوا بجانب المنبر فجلست بين أيديهم فالتفت إلي واحد منهم وقال:

يا فلان! فقوي في نفسي أنه الإمام الحسين عليه السلام.

فقلت: لبيك يا سيدي.

فقال: لأي شيء قطعت الزيارة؟.

فقلت له: يا مولاي إني أزور في كل يوم.

قال: صدقت، وأنا أعرف ذلك إلا أنك قطعت الزيارة يوم الثلاثاء، فلأي شيء تركته؟.

فقلت: يا مولاي لك المعذرة قصرت وتبت وصرت اعتذر له بكلام كثير فتبسم وقال كلاماً معناه: عذرك مقبول.

ثم إني لما أصبحت ذهبت إلى المشهد المبارك ودعوت الله سبحانه وسألته ببركة الإمام الحسين عليه السلام أن يعافيني من ذلك المرض فبركته عافاني الله من ذلك المرض في أسرع زمان).

قصة شفاء معلم الكسوة الشريفة للمشهد الحسيني بمصر

وذكر الشبراوي في (الإتحاف بحب الأشراف) أيضا عند ذكره لكرامات المشهد الحسيني بمصر (أن رجلاً يقال له شمس الدين القعويني كان ساكنا بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينه فكف بصره وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيدي أنا جارك وقد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليّ ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسأل عنهم فقيل له هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة معه جاؤوا لزيارة السيد الحسين رضي الله عنه، فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة فالتفت السيد الحسين إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، للإمام علي رضي الله عنه، يا علي كحله فقال: سمعاً وطاعة، وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له تقدم حتى أكحلك فتقدم فلوث المرود ووضعه في عينه اليمنى فأحس بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام، وكتب عليها وقفاً ولم تزل تفرش حتى تولى مصر الوزير محمد باشا الشريف من طرف حضرة السلطان محمد خان نصره الله فجدد بسطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن)[1].

---

(١) ٧٥٠ قصة من حياة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٦٠٣ ـ ٦٠٥، نقلا عن كتاب الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٨٤ ـ ٨٦.

المجتمع والطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة

القسم الأول

فكرة المجتمع من أقدم الأفكار التي اهتدى إليها الإنسان، وبقيت هذه الفكرة تتطور جيلا بعد جيل إلى ان دخلت هذه الفكرة دورها الذهبي حينما جعلها العقل ميدانا لبحثه لتصير ميدانا للنظر العلمي المتزن الرصين، ويمكن عَدّ كتاب نهج البلاغة مصدراً من المصادر المهمة في دراسة الطبقات الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام، وسنتناول في هذا القسم والأقسام الأخرى التي ستأتي في الأعداد اللاحقة ان شاء الله بعض تلك الطبقات التي أولاها الإمام عليه السلام عناية خاصة في نهج البلاغة، فنظر لها في كلماته، وبين أهميتها، ووضع لها القواعد والحدود ليحافظ على حالة الاعتدال فيها والحيلولة دون وصولها إلى حدي الإفراط والتفريط، وهذه الطبقات هي:

الطبقة الأولى: العسكريون

١: العسكريون خطر وضرورة في آن واحد

هم خطر لأن الطبقة التي ينتمون إليها هي أقوى طبقات الأمة كلها؛ فالجيش طوع أمرهم، والسلاح تحت أيديهم، ولا قوة تمنعهم من الثورة إذا ما أرادوا، ولا حاجز يحول بينهم وبين ظلم الرعية إذا تمكن ذلك من أنفسهم، ووجد هوى في صدورهم.

والوجدان الذي ينتظم أفراد هذه الطبقة يقتضيهم ذلك ويزع بهم نحوه، فإن التصورات التي يتكون منها هذا الوجدان هي تصورات القوة والغلبة والفتك، وما يتبع هذه من تصورات الخيلاء والاستعلاء.

وطبيعة عملهم العسكري تقتضيهم أن يواجهوا مشاكلهم عن طريق العنف والقسر وتحملهم على أن يحلوها من هذا الطريق. وطبيعة عملهم أيضا تجعلهم ينظرون إلى المجموعات الإنسانية ((كوحدات عددية)) تقوم بعمل معين لا أكثر ولا أقل وذلك لأنهم لا ينظرون من الجندي الذي يدين لهم بالطاعة إلى أكثر من أنه آلة تجيد استعمال السلاح، أما ما وراء ذلك من صفات نفسية وسمات ذاتية فلا ينظرون إلى شيء منها، لأن هذه كلها تنطمس في التجمع البشري الضخم المسمى بالجيش، ولأنها لا تعني كثيراً في أداء المهمة المطلوبة من الجندي.

وإذا كانوا ينظرون إلى الجماعة الإنسانية على هذا النحو فلا يؤمنون من الانحراف عن جادة الصواب في معاملتهم مع الناس، لأن الصفات النفسية هي التي يجب أن تلحظ في هذه المعاملة، وهم يغفلونها لأن طبيعة عملهم تقتضي ذلك كما رأيت.

هذا الوجدان الطبقي ((وهو ضروري إذ لولاه لما كانوا عسكريين)) خطر إذا احتد، وعبر عن نفسه في غير أوانه وجرى في غير أقنيته الحقيقية. فهذا هو وجه الخطر فيهم.

وهم ضرورة لأن وجودهم يحفظ الأمن ويصون الدولة، ويردع السفيه ويضرب على يد المعتدي. وحيث كانوا ضرورة فلا بد من وجودهم، وحيث كانوا خطراً فلا بد من تفاديه.

وإذ قد لزم هذا وذاك فقد شرع الإمام عليه السلام للحاكم نظاماً يستهدي به في تأليف هذه الطبقة من جديد، وشريعة يجري عليها في انتخاب من يريد ضمه إليها من رعيته، وسنة، يأخذ بها في معاملتها. وقصد من ذلك كله إلى أن يؤمن من هذه الطبقة جانب الضرورة، وينأى عن أن تكون مصدر خطر وإرهاب.

٢: الشخصية العسكرية ضرورة لازمة للقائد العسكري لزوم الهواء لكل كائن حي

وهذه الشخصية عبارة عن طائفة من الصفات تلتقي في القائد فتكون له شخصيته. فيجب أن يكون القائد العسكري متصفا بصفة النفوذ والهيبة التي تجعله نافذ الأمر، وذلك لأن الصفة الأولى المطلوبة من الجندي هي الطاعة وبدونها لا يمكن أن ينجح جيش على الإطلاق، وما لم يكن للقائد العسكري صفة النفوذ والهيبة بعدت الطاعة عن منال يديه، وحينئذ لا ينجح في عمله العسكري.

ويجب أن يكون واجدا لصفة الخبرة بمن يعمل تحت يديه من مرؤوسيه، عارفا بإمكاناتهم وكفاءاتهم، ليضع كلا منهم في موضعه اللائق به، لأن خطأً بسيطاً في تعيين قائد ربما أدى إلى كارثة قومية.

ويجب أن يكون واجدا للثقافة العسكرية: عارفا بأساليب قيادة الجيش وحركاته، والإستراتيجية العسكرية.

ولما كان القائد هو المثل الأعلى للجندي وجب أن يكون هذا القائد مثلاً يحتذى لجنوده في الصبر على المكاره، والتفاني في القيام بالواجب، وهما من ألزم الصفات العسكرية في الجنود والقادة على السواء.

ولا توجد هذه الصفات في عامة الناس، وهي ليست صفات تنحدر بالوراثة من جيل، بل لا بد فيها من التربية المنهجية الواعية.

ولما لم تكن في زمن الإمام عليه السلام مدارس وكليات عسكرية تقدم مثل. هذه الملاحظات لهؤلاء

القــــادة دفعت الإمام إلى تعيين العناصر التي تؤخذ منها هذه العناصر، وهي البـيوتات الشــريفة ذات الأحســاب والتقـــاليد المتوارثة، فقــد كانت هذه البيوتات تأخذ أبناءها بتربية قاسية واعية توفر لهؤلاء الأبناء الثقافية العسكرية، وهي من أهم ما كان يأخذ بــه العرب ويعنون بإتقــانه، وتغرس في أنفســهم الشعور بالمسؤولية والتحمل والصبر على المكاره.

وقــد كانت هذه البــيوتات تحل في نفوس أبــناء الشـعب، وهم الذين يؤخذ منهم عامة الجند، مركزاً سامياً حصلت عليه بسبب الخدمات التي تقدمها هذه البيوتات للأمة في الحرب والسلم على السواء، وهذا يوفر للقـــائد صفة الهيبـــة، ويضمن له نفوذ الأمر وحصول الطاعة.

ألف: ان يكون من ذوي المروءات والحسب الصالح والوعي

وفي هذا الصدد يوصي عليه السلام عامله على مصر في عهده اليه: (ثم ألصق بـــذوي [المروءات] والأحســاب، وأهل البـيوتات الصالحة والسوابــق الحســنة، ثم أهل النجدة والشــجاعة، والســخاء والسماحـــة، فإنهم جماع من الكرم، وشــعب من العرف).

وإلى جانب الصفات السابقــة يجب أن تتوفر في القــائد صفات أخرى. منها الثقــافة الدينية، وهذه الثقافة لا يكفي فيها أن تكون ((علماً)) بالواجبات الدينية فقـــــط وإنما يجب أن تكون ((وعياً)) لهذه الواجبات بحيث تكون في جهاز القائد النفسي قوة دافعة تحمله على أن يســير على هديها في حــــياته العلمية.

باء: ان يكون أمينا حليما رحيما

ومنها أن يكون أميناً لا تمتد يده إلى ما ليس لــه، حليماً لا يحمله الغضب على فعل ما لا تحمد عقباه، واســع الصدر يجد العذر موقـفاً في نفســه، رحــيماً بــالضعف لا يتخذه موضعاً لإظهار مدى ســلطته وهكذا، فإلى جانب الثقافة الدينية التي يجب أن تبلغ من نفس القــائد مرتبــة الطاقة الشــعورية يجب أن يكون على مســـتوى أخلاقـــي عال يصده عن الإفساد، ويمسكه على الجادة، ويأخذ بعنقــه إلى الهدى.

قــال عليه السلام: (فول من جنودك أنصحهــم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقـاهم جيبــاً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عند الغضب، ويستريح إلى العذر ويرأف بـالضعفاء، وينبــو على الأقــوياء، وممن لا يثير العنف ولا يقعد به الضعف).

٣: الأســـلوب الناجع للتعامل مع هذه الطبقــة الاجتماعية

وبعد أن نهج الإمام القواعد التي يجب أن تتبع في اختيار أفراد هذه الطبقة أخذ في بيان الأسلوب الذي يجب أن تعامل بــه. ويرى الإمام أنه لا يجوز للحــاكم أن يعتمد على التربـــية وحــــدها، وعلى الخلق الشخصي وحده فيما يرجع إلى ضمان إخلاص هذه الطبقــة. فهو بقــدر ما يحرص على أن يكون القــادة العســكريون ذوي تربــية عالية وخلق متين يحرص كذلك على توفير ما يتوقـــون إليه من الناحــــيتين: المادية والمعنوية. فهؤلاء القـــادة يتوقـــعون أن يروا أعمالهم التي يقومون بها تلاقي التقدير الذي تستحقه عند الحاكم، ويتوقــعون أن يروا أن عيناً من فوقهــم ترعاهم وتتعاهد أعمالهم وتوفيها ما تستحـــق من جزاء. وهؤلاء القادة، كغيرهم من الناس، خاضعون للضرورات الاقــتصادية، وربما كانت حــاجتهم إلى المال أكثر من حاجة غيرهم إليه، وإذ كانوا كذلك فلا بد للحاكم من مراعاة حالتهم الاقتصادية.

ولا يجوز له أن يعتمد على الخلق والتربـــية في ضمان إخلاصهم وتمســـــكهم بمثلهم العليا، فإن الحاجة تدفع إلى الإجرام أو الانحراف.

ولابـــد له من تتبـــع مآثرهم والإشـــادة بـــه، ومدحهــم، والثناء عليهم بما أبلوا من بــلاء حســن، وأتوا من فعل عظيم.

أما حين تغفل عنهم عينه: فلا يتفقد أحوالهم، ولا يوليهم منه جانب اللين والرأفة ـ حين يجدون هذا منه يشعرون بــأن أعمالهم لا تجد ثوابها وأن جهدهم يذهــب أدراج الريــاح، ويعظــم في أعينهــم الصغــير ويصغر العظيم، وتنعدم ثقــتهم بــالحاكم، ويذهب وده من قلوبهم، فلا يمحضونه النصح، ولا يخدمونه بــصدق، لأنهم لا يجدون في أنفســهم ما يدفعهم إلى خدمته وهو متخاذل عنهم مقــصر معهم، ويدفعهم هذا الموقف النفسي إلى استثقــال دولته، واســتطالة مدته، والتبرم بحكمه، فماذا يمنعهم، وهذا موقــفهم منه، عن أن ينتقــضوا عليه ويكيدوا له ويواجهوه بما لو أحسن السياسة لاتقاه.

وقــال عليه الســلام في عهده لمالك الاشــتر: (ثم تفقــد من أمورهم ما يتفقــد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم بــه. ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم بـــه، وإن قـــل، فإنه داعية لهم إلى بـــذل النصيحة لك وحسن الظن بــك...ولا تدع تفقــد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه ... فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك...ثم أعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضفين بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقتصرنّ بــه دون غاية بلائه).

والمقياس في الجزاء والثواب وحسن الأحــدوثة نفس العمل، لا السلالة ولا الغنى ولا أي شيء آخر. قال عليه السلام: (ولا يدعونك شــرف امرئ إلى أن تعظم من بــلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً).

والمشـــــــاركة الوجدانية من الأمور التي يجب توفرها بــين القــائد وجنوده. فحينما تتوفر المشــاركة الوجدانية بين القائد وجنوده، ويشعرون بأنهم ليســوا تحت ســلطان جبـــار يســـومهم العذاب، ويتخذهم سبلا إلى إظهار سلطانه، ووسائل لخدمة مآربه، وإنما هم تحت رعاية أب بـــــار يعمل لخيرهم، ويســـعى لإسعادهم، ويحدب عليهم، ويرأف بهم، ويوجههم نحو ما فيه صلاحهم.. حينما يستقر في أعماقهم هذا الشـعور يعملون بـإخلاص وإتقـان وحرارة وإيمان، ويقبــلون على عملهم بشــوق رغبــة منهم في إبهاج قائدهم وإشــاعة الزهو والفرح في قلبه، فإن القــائد بجنوده، وكلما كان عملهم رائعاً ومتقـــناً دل ذلك على حســن توجيهه وواســع خبرته وعظيم معرفته. وليس بخاف ما يعود بـــه هذا على الدولة من القــوة والتماسك.

وكما أن المحبة والعطف والخلق الحسن شــروط لازمة في حــصول هذا الشــعور عند الجنود فإن تأمين الناحية الاقتصادية شرط لازم أيضاً. فلا يسع جندياً أن يخلص لعمله وهو يسمع، بقلبــه، صراخ زوجته وأطفاله من الجوع أو العري أو المرض، لذلك أرشــد الإمام الحاكم إلى أن طبقة العسكريين يجب أن تتألف ممن يولون كلا الناحــيتين: الاقــتصادية والمعنوية عظيم اهتمامهم، وإن خير قــــواده خيرهم لجنوده، وأحدبهم عليهم، وأرفقهم بهم، وأرعاهم لشؤونهم في السـراء والضراء، فإن هذا هو السبيل الوحيد إلى توليد هذه المشــاركة الوجدانية التي تعود على الدولة بأجل الفوائد وأعظم الخيرات[1].

(١) دراســـات في نهج البــلاغة: لمحمد مهدي شمس الدين، ص٦٣ ـ ٧٣ مع تصرف بسيط.

وسائل الإعلام والتواصل الثقافي

نتعرّض في هذا العدد إلى العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام والتواصل الثقافي، حيث سنتطرق فيها لثلاث نقط رئيسة، نقدم في أولها تعريفا لوسائل التواصل الجماهيري، وفي ثانيها سنعرف بالوظائف التي تضطلع بها وسائل التواصل الجماهيري، ثم في نقطة ثالثة وأخيرة، سنركز على البعد الثقافي لوسائل الإعلام.

١.تعريف التواصل الجماهيري

لم يعد خافيا على أحد أننا نعيش عصر الاتصال، خاصة بعد القفزة الكبرى التي شهدها العالم اليوم في تكنولوجيا التواصل. فقد عرف العالم، منذ بداية القرن الماضي، تحولا كبيرا في شتى مناحي الحياة فتقدمت تقنيات التواصل بشكل مثير جدا، وتعددت وسائله إلى حد جعل الأقمار الصناعية توحد القارات لتنقل الكلمة والصورة عبر آلاف الكيلومترات وفي حينها مباشرة.

فقد أصبح الإعلاميون أكثر قدرة من أي فئة اجتماعية أخرى على التأثير في الجماهير، التي تشغل وسائل التواصل الجماهيري الحيز الأكبر من حياتهم بوصفهم المتحكم الأول في القرارات الدولية ومراكز القوى.

وعليه، فوصفنا للتواصل الجماهيري، يشير إلى مجموع العمليات التي من خلالها تستعمل جماعات من المختصين وسائل التواصل لتعميم مضمون إعلامي أو رمزي، فهو يتميز باللجوء إلى وسائل تواصل مختلفة: صحافة، سينما، راديو، تلفزة، لافتة إشهارية ...الخ. بمعنى أن التواصل الجماهيري لابد له من ناقل أو وسيط، أي هو بحاجة إلى وسيلة إعلامية كالصحف أو المجلات أو التلفزيون أو الراديو أو الكتب ... فعلى سبيل المثال إن السياسي الذي يلقي خطابا رئيساً دون وسيلة إعلامية، إنما يفقد فرصة للوصول إلى آلاف بل ملايين الأشخاص غير الحاضرين جسديا.. وإذن، فالتواصل الجماهيري هو أساسا رسائل تصل بواسطة وسيلة إعلامية إلى عدد كبير من الناس.

٢.وظائف التواصل الجماهيري

لقد أجمل موريس جانوفيتز أهم وظائف التواصل الجماهيري في ثلاث وظائف أساسية هي:

ألف: نقل تراث المجتمع من جيل لآخر.

باء: جمع المعلومات التي تساعد على مراقبة البيئة والإشراف عليها.

جيم: ثم المساعدة على ترابط مختلف أجزاء المجتمع في وجه التغييرات التي تطرأ على تلك البيئة.

٣.البعد الثقافي لوسائل الإعلام

إن ما يهمنا نحن في هذه السطور هي الوظيفة الثقافية أو ما يعرف بالأطروحة الثقافية عند أصحاب التيار الثقافي في بريطانيا أمثال ستوارت وريشارد هوكوت، ذلك أن الثقافة بشكل عام تتمثل في مجموع الظواهر المميزة التي يختص بها المجتمع.

وبفعل التطور التكنولوجي وظهور القنوات الفضائية وتنوع ما تقدمه من برامج وفقرات أصبح الإنسان يميل - بكل وضوح - إلى متابعة ما يتفق مع ميولا ته وآرائه الشخصية. ذلك أن من أهم مظاهر تأثير وسائل الإعلام قدرتها على تقوية المعتقدات والاتجاهات القائمة وكذا بلورة الأفكار الجديدة في حياة الإنسان. فقد بين بول لازار سفيلد في دراسة قام بها مع مجموعة من الباحثين في هذا الميدان أن أثر الإعلام يمارس بطريقة غير مباشرة وانتقائية، ذلك أن الناس يختارون الخطابات التي يودون الاستماع إليها، ولكنهم لا يحتفظون منها إلا بالقليل، وتكون غالبا تلك التي تناسب اعتقاداتهم.

وفي هذا السياق، إذا أردنا معرفة درجة تأثير وسائل الإعلام العربية نجد أنه قبل سنة (١٩٩٢) كان كل قطر عربي لا يتوافر على أكثر من قناة إعلامية واحدة، وهو ما كان يفرض

على المواطن التوجه إليها في غياب البديل، وقد مكن هذا التفرد كل قناة في كل قطر من التأثير تأثيرا مباشرا على المجتمع. لكن بعد ظهور الفضائيات وإطلاق عدد كبير من الأقمار الصناعية لم يعد هناك ما يسمى بالقطب الإعلامي الواحد، وأصبح الفرد أمام مجموعة من الخيارات أسهمت في توسيع فكره ومداركه عبر ما تقدمه كل قناة على حدة. وهنا ظهر عامل الجودة الذي جعل التنافس على أشده بين القنوات الإعلامية العربية والعالمية لاستقطاب أكبر عدد من المشاهدين.

لكن بعد هذا التطور التكنولوجي الهائل، يبقى السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو أي الوسائل أكثر تأثيرا، الصحافة المكتوبة أم الإذاعة أم التلفزيون؟ فبالنسبة للصحافة التي تعد المتنفس الأساس لمعظم المفكرين والمثقفين، وهي الميدان الرئيس الذي يظهر فيه الفكر، والأرض الخصبة لنمو الثقافة وازدهارها من خلال ما يطرح في الأسواق يوميا من صحف ومجلات ونشرات يستطيع كل شخص كيفما كان مستواه الثقافي من إشباع رغباته وتنمية ثقافته.

وتسعى الصحافة إلى التأثير على المتلقي بسحر الكلمة في عقيلة الفرد وتوجيهه التوجيه الصحيح، باعتبار أننا نتحدث عن الصحافة الجادة، التي تؤدي وظيفتها الكبرى بكل أبعادها كأثر فعال لخدمة المجتمع، وبوصفها وسيلة هامة لتقوية أواصر التكامل بين أفراد المجتمع والرفع من مستوياتهم الثقافية.

أما بالنسبة للإذاعة بوصفها وسيلة من وسائل الإعلام التي نحصل من خلاها على نحو ٦٠% من الأخبار، وهنا تبرز أهميتها كأداة اجتماعية لتوجيه الأفراد وتوعيتهم، هذا ما جعلها أكثر وسائل الإعلام انتشارا وأقدرها على اجتياز المسافات والوصول إلى عمق المجتمع، وأداة فعالة للتوعية والتثقيف. إلا أن هذه الوسيلة تحتاج في مجتمعنا العربي إلى نوع من التكامل بين التخطيط الثقافي والتخطيط الإعلامي. وحتى يتحقق ذلك فلا بد من نوع من التعامل الجاد والمثمر بين المفكرين ورجال الثقافة وعلماء الاجتماع ورجال الإعلام لتحضير برامج جيدة، وتقديم مقترحات عملية لتحسين أساليب الأداء وفق خطة علمية إعلامية مدروسة، والتفنن في أساليب العرض والطرح الإذاعي في قوالب تسويقية تحمل عناصر الجذب والإغراء، لتكون الوسيلة وسيلة توجيه وتثقيف مع تحقيق الترفيه الإعلامي للمستمع.

أما التلفزيون فنجده يختلف عن الصحافة والإذاعة لامتلاكه قدرة التأثير من خلال خصائصه الفنية في نقل الصوت والصورة، ومما جعله يكسب قدرة وجاذبية تجعله يستقطب أكبر نسبة من المشاهدين باختلاف أعمارهم ومشاربهم، كما أنه باستطاعته التغلغل في أي مكان: في المنزل أو المجتمع أو المدرسة، مما مكنه من لعب دور متميز في نشر الثقافة بين الجماهير.

وتجدر الإشارة إلى أنه يصعب تحديد ماهية البرامج الثقافية، لأن أي برنامج لا يخلو من محتوى ثقافي، وما يعد برنامجا ثقافيا في بلد قد لا يكون كذلك في بلد آخر، ويعد مفهوم الثقافة كما هو معلوم من أكثر المفاهيم تداولا وغموضا في الآن نفسه.

وبما أن الثقافة سلوك مكتسب، فإن ارتباطها بالبرامج التلفزية أمر هام، إذ إن البرامج الثقافية تقدم لأفراد المجتمع أنواعا مختلفة من السلوك، لكي يتسنى للفرد الاندماج في الجماعة والتكيف معها كما أن البرامج الثقافية في التلفزيون تعد وسيلة من وسائل النقل الثقافي، وهي بذلك وسيلة تتوسل بها الثقافة في الاستمرار والانتقال. لهذا تسعى القنوات العربية إلى بث برامج تثقيفية وتعليمية وتربوية إلى جانب برامج أخرى، وهناك منها ما ذهب أبعد من ذلك، بحيث أصبحت قنوات ثقافية بامتياز. وفي إطار العملية التثقيفية الإعلامية، نميز بين نوعين من التثقيف، فهناك تثقيف عفوي من خلال إطلاع الأفراد عن طريق الصدفة على مجلة أو صحيفة أو أخبار أو صور أو برنامج إذاعي أو تلفزي، فيعرفون منها شيئا يزيد من ثقافتهم.. وهناك تثقيف مخطط يتجلى في المعلومات التي تعرض من خلال صحيفة أو برنامج إذاعي يهدف خدمة مبدأ أو معتقد أو رأي أو فكر تتبناه جهة محددة.

يحصل التثقيف العفوي عبر عرض برامج عادية، لكن في مضمونها يحمل بعدا ثقافيا، يستفيد منه المشاهد بطريقة غير مباشرة، تتمثل في حصوله على ثقافة عامة. أما التثقيف المخطط فيتمثل في الموضوعات الثقافية المنشورة في صحف أو مجلات أو كتب، وكذلك من خلال البرامج الثقافية والنشرات المتخصصة من أفلام وثائقية ومحاضرات وندوات وأشرطة فيديو مسجلة.

تعمل وسائل الإعلام على التثقيف في مجال التربية والتعليم من خلال عرض برامج تخدم المناهج المقررة والأبحاث والموارد الدراسية التعليمية، علاوة على البرامج المخططة التي يعدها تربويون مختصون، تعرض في أوقات وفترات مناسبة، ليتسنى للطلاب متابعتها والاستفادة منها.

فضلاً عن ذلك تعمل القنوات على بث عروض تعليمية وبرامج محو الأمية، خصوصا وأن التلفزيون يتفوق على الإذاعة في هذا الميدان، لأن المشاهد يتعرف على مخارج الألفاظ عن طريق متابعة النطق إلى جانب رسم هذه الكلمة التي ينطق بها. كما يتم توظيف إطار التمثيلية التلفزيونية، وهي أكثر أشكال البرامج استهواء للبسطاء، وذلك في عرض مادة تعليمية في بعض المشاهد. وتعدّ البرامج التعليمية الراهنة أكثر ملاءمة وجذبا للأقل ذكاء فضلا عن التأثير المحتمل الناتج عن اعتماد البرامج على الصور الحسية المرئية، كما أدى إلى التأثير في قليلي الذكاء، في حين أن مرتفعي الذكاء أكثر قدرة على فهم واستيعاب الأمور المجردة والصور الرمزية. فضلاً عن ذلك، فالبرامج الثقافية تتشكل أيضا من خلال برامج الندوات والمناقشات، ومن خلال عرض مواضيع دينية أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية، يتم مناقشتها في حضرة مفكرين وأدباء وعلماء، حيث يسهم كل واحد برأيه مدعوماً بأدلة وشواهد، فيخرج المشاهد بعد نهاية البرامج بآراء وأفكار جديدة[1].

١ـ مدارات ثقافية وفكرية، ص٣٢١ـ٣٢٧.

فضائل الأخلاق ورذائلها

فضائل الأخلاق من المنجيات الموصلة إلى السعادة الأبدية، ورذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية، فالتخلي عن الثانية والتحلي بالأولى من أهم الواجبات. والوصول إلى الحياة الحقيقية بدونهما من المحالات، فيجب على كل عاقل أن يجتهد في اكتساب فضائل الأخلاق التي هي الأوساط[1] المثبتة من صاحب الشريعة والاجتناب عن رذائلها التي هي الأطراف، ولو قصّر أدركته الهلاكة الأبدية، إذ كما إن الجنين لو خرج عن طاعة ملك الأرحام المتوسط في الخلق لم يخرج إلى الدنيا سوياً سميعاً بصيراً ناطقاً. كذلك من خرج عن طاعة نبي الأحكام المتوسط في الخلق لم يخرج إلى عالم الآخرة كذلك. « وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا »[2].

ثم ما لم تحصل التخلية لم تحصل التحلية ولم تستعد النفس للفيوضات القدسية، كما إن المرآة ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها، والبدن ما لم تزل عنه العلة لم تتصور له افاضة الصحة، والثوب ما لم يُنَقَّ عن الأوساخ لم يقبل لوناً من الألوان، فالمواظبة على الطاعات الظاهرة لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومة كالكبر والحسد والرياء، وطلب الرياسة والعلى وإرادة السوء للأقران والشركاء، وطلب الشهرة في البلاد وفي العباد، وأى فائدة في تزيين الظواهر مع اهمال البواطن.

ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبئر الحش[3] ظاهرها جص وباطنها نتن، وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة، أو كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم، أو كرجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه عن أصله فاخذ يجز رأسه ويقطعه فلا يزال يقوى أصله وينبت، فان الأخلاق المذمومة في القلب هي مغارس المعاصي فمن لم يطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهرة، أو كمريض به جرب وقد امر بالطلاء ليزيل ما على ظهره ويشرب الدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء متناولا ما يزيد في المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب يتفجر من المادة التي في الباطن.

ثم إذا تخلت عن مساوئ الأخلاق وتحلت بمعاليها على الترتيب العلمي استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب، ولم يبق لشدة القرب بينهما حجاب، فترتسم فيها صور الموجودات على ما هي عليها، على سبيل الكلية، أى بحدودها ولوازمها الذاتية لامتناع إحاطتها بالجزئيات من حيث الجزئية، لعدم تناهيها، وان عملت في ضمن الكليات لعدم خروجها عنها، وحينئذ يصير[4] موجوداً تاماً أبدي الوجود سرمدي البقاء، فائزاً بالرتبة العليا، والسعادة القصوى، قابلا للخدمة الإلهية، والرئاسة المعنوية، فيصل إلى اللذات الحقيقية، والابتهاجات العقلية التي ما رأتها عيون الاعيان، ولم تتصورها عوالي الأذهان.

تأثير المزاج على الأخلاق

للمزاج مدخلية تامة في الصفات: فبعض الأمزجة في أصل الخلقة مستعد لبعض الأخلاق، وبعضها مقتض لخلافه، فانا نقطع بان بعض الأشخاص بحسب جبلته، ولو خلى عن الأسباب الخارجية، بحيث يغضب ويخاف ويحزن بأدنى سبب، ويضحك بأدنى تعجب، وبعضهم بخلاف ذلك. وقد يكون اعتدال القوى فطرياً بحيث يبلغ الإنسان كامل العقل، فاضل الأخلاق غالبة قوته العاقلة على قوتي الغضب والشهوة، كما في الأنبياء والأئمة عليهم السلام وقد يكون مجاوزتها عن الوسط كذلك بحيث يبلغ ناقص العقل رديء الصفات مغلوبة عاقلته تحت سلطان الغضب والشهوة، كما في بعض الناس.

إلا أن الحق ـ كما يأتي ـ إمكان زوالها بالمعالجات المقررة في علم الأخلاق، فيجب السعي في إزالة نقائضها وتحصيل فضائلها. وعجباً لأقوام يبالغون في اعادة الصحة الجسمانية الفانية، ولا يجتهدون في تحصيل الصحة الروحانية الباقية، يطيعون قول الطبيب المجوسي في شرب الأشياء الكريهة ومزاولة الأعمال القبيحة، لأجل صحة زائلة، ولا يطيعون امر الطبيب الإلهي

لتحصيل السعادة الدائمة. وبقاء النفس على النقصان إما لعدم صرفها إلى طلب المقصود لملابسة العوائق والموانع، أو مزاولة النقيض لتمكن موجبه، أو لكثرة اشتغالها بالشواغل المحسوسة، أو لضعف القوة العاقلة، فان لم تدركها العناية الإلهية فلا يزال يتزايد النقصان ويبعد عن الكمال الذي خلق لأجله، إلى أن تدركها الهلاكة الأبدية والشقاوة السرمدية، نعوذ بالله من ذلك، وإن ادركته الرحمة الأزلية، فيصرف همه في ازالة النقائص، واكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبة من الكمال إلى فوقها، حتى يصير من أهل مشاهدة الجلال والجمال، ويتشرف بجوار الرب المتعال، ويتصل إلى السرور الحقيقي، الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وإلى قرة الاعين التي يشير اليها في قوله سبحانه: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ»(٥).

شرف علم الأخلاق لشرف موضوعه وغايته

أن الحياة الحقيقية للإنسان تتوقف على تهذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقررة في هذه الصناعة، تعرف انها أشرف العلوم وانفعها لان شرف كل علم انما بشرف موضوعه أو غايته، فشرف صناعة الطب على صناعة الدباغة بقدر شرف بدن الإنسان وإصلاحه على جلود البهائم، وموضوع هذا العلم هو النفس الناطقة التي هي حقيقة الإنسان ولبه، وهو أشرف الأنواع الكونية كما برهن عليه في العلوم العقلية، وغايته اكماله وإيصاله من أول افق الإنسان إلى آخر، ولكونه ذا عرض عريض متصلا أوله بأفق البهائم وآخره بأفق الملائكة، لا يكاد أن يوجد التفاوت الذي بين اشخاص هذا النوع في افراد سائر الأنواع، فان فيه أخس الموجودات ومنه اشرف الكائنات كما قيل:

لم أر أمثال الرجال تفاوتت
لدى المجد حتى عد الف بواحد

وإلى ذلك التفاوت يشير قول سيد الرسل صلى الله عليه واله وسلم «إني وزنت بأمتي فرجحت بهم» ولا ريب في أن هذا التفاوت لأجل الاختلاف في الأخلاق والصفات، لاشتراك الكل في الجسمية ولواحقها.

وهذا العلم هو الباعث للوصول إلى أعلى مراتبهما، وبه تتم الإنسانية، ويعرج من حضيض البهيمية إلى ذرى الرتب الملكية، وأي صناعة أشرف مما يوصل اخس الموجودات إلى أشرفها، ولذلك كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقة إلا عليه، ويسمونه بالاكسير الأعظم، وكان أول تعاليمهم، ويبالغون في تدوينه وتعليمه، والبحث عن اجماله وتفصيله، ويعتقدون ان المتعلم ما لم يهذب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم.

وكما ان البدن الذي ليس بالنقي كلما غذوته فقد زادته شراً، فكذلك النفس التي ليست نقية عن ذمائم الأخلاق لا يزيده تعلم العلوم إلا فساداً. ولذا ترى اكثر المتشبهين بزي العلماء اسوأ حالا من العوام مائلين عن وظائف الإيمان والإسلام، إما لشدة حرصهم على جمع المال، غافلين عن حقيقة المال، أو لغلبة حبهم الجاه والمنصب، ظناً منهم انه ترويج للدين والمذهب، أو لوقوعهم في الضلالة والحيرة لكثرة الشك والشبهة، أو لشوقهم إلى المراء والجدال في اندية الرجال، اظهاراً لتفوقهم على الأقران والأمثال، أو لإطلاق ألسنتهم على الآباء المعنوية من أكابر العلماء وأعاظم الحكماء، ولعدم تعبدهم برسوم الشرع والملة، ظناً منهم أنه مقتضى قواعد الحكمة، ولم يعلموا أن الحكمة الحقيقية ما أعطته النواميس الإلهية والشرائع النبوية، فكأنهم لم يعلموا أن العلم بدون العمل ضلال، ولم يتفطنوا قول نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم: «قصم ظهري رجلان، عالم متهتك، وجاهل متنسك»، ولم يتذكروا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «البلاهة أدنى إلى الاخلاص من فطانة بتراء»، وكل ذلك ليس إلا لعدم سعيهم في تهذيب الأخلاق وتحسينها وعدم الامتثال لقوله سبحانه:

«وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا»(٦)(٧).

١- إشارة إلى إن الفضيلة وسط بين رذيلتين وقد دعا الشارع إلى تحصيل الوسط بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خير الأمور أوسطها) وسيأتي شرح المعنى من الوسط والطرفين.

٢- الإسراء الآية: ٧٢.

٣- الحش بالفتح أو الضم ثم التشديد والفتح اكثر من الضم: المخرج وموضع الحاجة وأصله من الحش بمعنى البستان، لانهم كانوا يتغوطون في البستان، فلما اتخذوا الكنيف اطلقوا عليها الاسم مجازاً، فالمراد هنا من بئر الحش خزانة الكنيف.

٤- تذكير الضمير باعتبار إرادة الإنسان لأنه صاحب النفس بل هو هي.

٥- السجدة: الآية، ١٧.

٦- البقرة: الآية، ١٨٩.

٧- جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، ج١- ص٢٣-٣٥.

سلسلة مباحث التوحيد

القسم الرابع

مبحث إثبات التوحيد وأقسامه

قد تعرفنا في الأعداد السابقة على ثلاثة أقسام من التوحيد، وسنذكر فيما يلي أقساماً أخرى، مع الالتزام بالاختصار وعدم التعقيد في العبارة قدر المستطاع.

٤: التوحيد في الربوبية والتدبير

ونقصد بتوحيد الربوبية والتدبير: (إن الله وحده هو مدبر العالم ومربيه ومنظمه. كما جاء في قوله تعالى: «قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ»، وأما لفظة «الرب» في لغة العرب فهي بمعنى المتصرف والمدبر والمتحمل أمر تربية الشيء، وكأنه بمعنى الصاحب. وهذه، أعني التدبير والتصرف، من لوازم كون الشخص صاحبا ومالكا. فرب الضيعة يقوم بأمرها، ورب البيت والغنم يقوم بالتصرف اللازم فيهما).

يستفاد بجلاء من مطالعة عقائد الوثنية في القرآن الكريم وكتب الملل والنحل أن مسألة التوحيد في الخالقية كانت موضع اتفاق كما قال سبحانه وتعالى: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ»، وكقوله سبحانه: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ».

فمن هذه النصوص الكريمة يفهم ان حتى الوثنيين كانوا موحدين فيما يخص أصل الإيجاد والخلق، لكنهم مشركون فيما يخص التدبير وكذلك العبادة كما قال سبحانه: «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» «اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ».

وقد أنكر القرآن الكريم ان يكون للكون أي مدبر سوى الله تعالى واستدل على ذلك ببرهان التنازع والفساد، ففي قوله سبحانه: «أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» إشارة إلى دليل الفساد القطعي الحصول فيما لو وجد مدبّران وربّان للكون.

أما لماذا يحصل هذا الفساد في حال وجود ربين ومدبرين للكون فهذا ما تبينه الآية الكريمة القائلة: «وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ».

لكن يجب وقبل ان ننهي هذا القسم من أقسام التوحيد ان ننبه على ان الله سبحانه قد أعطى لبعض عباده المقربين من الأنبياء والأوصياء والأئمة والأولياء بعض المراتب والكرامات التي يستطيعون ومن خلالها وبإقدار من الله سبحانه وإذن منه التصرف والولاية على بعض القوانين الكونية، وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة جدا أوضحها وأقربها للدلالة على المطلوب مسألة إحياء نبي الله عيسى عليه السلام للميت وشفائه للأبرص والأعمى والمجنون بل وخلقه من الطين طيرا، كل ذلك بإذن الله وإقداره قال سبحانه مستعرضا لكلام نبي الله عيسى عليه السلام مع قومه: «وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ» «فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» فمع ان الخلق هو من شؤون الخالق لا يشاركه فيه احد من المخلوقين كما عرفنا، إلا ان هذا الحق يمكن ان يهبه الله سبحانه وبمستويات معينة إلى غيره من المقربين لتبيان فضلهم ولإلقاء الحجة على بقية الناس ولتعريف سائر الناس ان لهؤلاء الصفوة ارتباطاً مع الله سبحانه ولو لم يكن لهم ارتباط معه ـ سبحانه ـ لما منحهم هذه المراتب من الكمال.

فلا مانع إذن ان تعطى بعض مراتب التدبير والخلق والإحياء والإيجاد لبعض المخلوقين للعلة التي تقدمت وغيرها، وهو ما نقوله في النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وباقي الأئمة الأطهار والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فما يعطونه من قضاء للحوائج وشفاء للأمراض وغير ذلك كله بإذن الله سبحانه وعلمه وقوته.

٥: التوحيد في التشريع

ونقصد به (أن التقنين حق الخالق والرب، لأنه يعرف مخلوقاته وصلاحهم، فلا يجوز لغيره تعالى أن يقدم على ذلك، فالأنبياء والرسل نقلوا ما شرعه الله تعالى ولم يقدموا على التشريع إلا فيما أذن لهم الله تعالى وهو أيضا مستند إليه تعالى كما لا يخفى).

التوحيد في التشريع فرع من فروع التوحيد في الربوبية، فإذا كان الله سبحانه هو الرب والمدبر والمدير للكون والإنسان، والمالك والصاحب فلا وجه لسيادة حكم غير حكمه سبحانه. ولأن الناس عند الله سبحانه سواسية كأسنان المشط فلا فضل لأحد على أحد من حيث هو هو. فضلاً عن ان التقنين والتشريع هو نوع تدبير لحياة الفرد والمجتمع وقد ثبت في الفقرات السابقة ان التدبير مختص بالله سبحانه وحده وليس لأحد ذلك الحق.

وعلى هذا الأساس لا يوجد في الإسلام أي سلطة تشريعية لا فردية ولا جماعية ولا مشرع إلا الله وحده، وأما الفقهاء والمجتهدون فليسوا بمشرعين بل هم متخصصون في معرفة تشريعه سبحانه ووظيفتهم الكشف عن الأحكام بعد الرجوع إلى مصادرها وجعلها في متناول الناس.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة أكدت على انحصار حق التشريع بالله سبحانه وان على جميع الخلق بإتباع أحكامه وتشريعاته وليس لأحد حق التشريع مقابل تشريعه سبحانه منها قوله تعالى: «فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ»، وقوله سبحانه: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ»، وكذلك قوله سبحانه: «وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ».

انحصار حق الطاعة بالله سبحانه وحده

ويتفرع عما سبق ان الله سبحانه بوصفه خالقا لهذا الإنسان بل لكل جزء من أجزاء الكون، وهو سبحانه الواهب للنعم والمانح للإنسان كل ما هو فيه من نعمة وقوة وعلم وجاه وغير ذلك، وانه سبحانه الرب والمدبر لكل أجزاء هذا الكون والمالك والمتصرف في أسبابه وعلله، وانه سبحانه يملك حق التشريع والتقنين والحكم، فيجب حينئذ على الإنسان طاعته ولا يجب إطاعة غيره إلا بإذنه ورضاه، وبعبارة أخرى، إن المالك للوجود بأسره ورب الكون الذي منه وإليه الإنسان يجب أن يطاع دون سواه. والمراد من الطاعة هو أن نضع ما وهبنا من الآلاء، حتى وجودنا وإرادتنا، في الموضع الذي يرضاه. والمروق من هذه الطاعة عدوان على المولى وظلم له، الذي يقبحه العقل. وأما غيره تعالى، فبما أنه لا دخل له في وجود الإنسان وحياته ونعمه وآلائه بل هو أيضا إنسان محتاج مثله، فلا يتصور له حق الطاعة إلا إذا أمر المطاع بالذات بإطاعته.

ولا شك أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمة من أولي الأمر، والوالدين، وغيرهم ممن تجب طاعتهم، وتحرم معصيتهم ومخالفتهم، إنما هو بأمر من الله سبحانه ولولا أمره لما كان لأحد على أحد حق الطاعة.

وكنتيجة يمكننا تقسيم حق الطاعة على قسمين لا ثالث لهما:

أولا: إن الطاعة على وجه الإطلاق مختصة بالله سبحانه ولا طاعة لغيره بالذات.

وثانيا: ان الطاعة لأي موجود غير الله لا تجوز ما لم يرد فيها أذن من الله سبحانه، وحدود تلك الطاعة يختلف باختلاف الشخص المأمور بطاعته، فحدود طاعة الوالدين تختلف عن حدود طاعة النبي الأعظم والأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

حمران بن أعين الشيباني المشهود له بالجنة

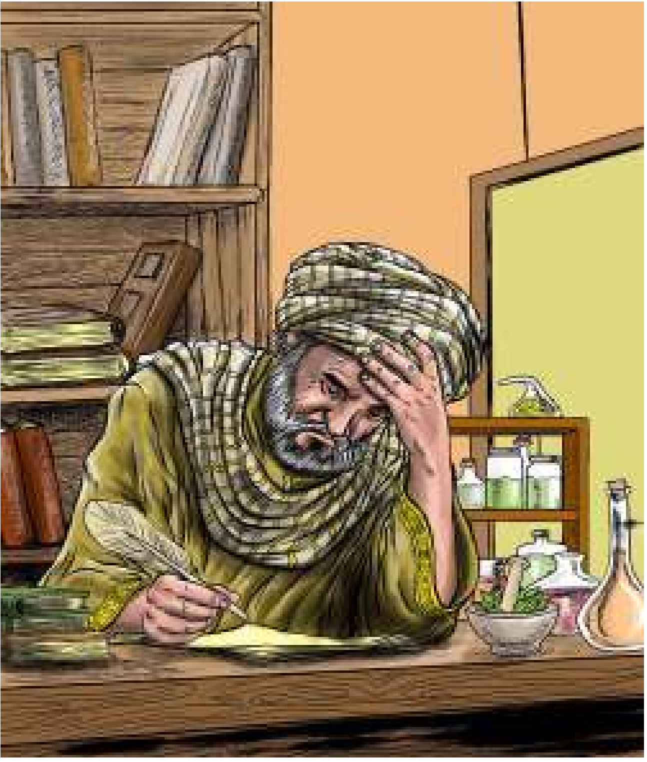

هو حمران بن أعين الشيباني الكوفي يكنى أبا الحسن وقيل: أبو حمزة، تابعي، من أصحاب الباقر صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وهو أخو زرارة بن أعين المشهور والذي مرت ترجمته في عدد سابق من أعداد مجلة الوارث، وقد ورد توثيقه في كتب علماء الطائفة الناجية، فعن الشيخ الطوسي قال: (وهو من القراء المتقنين قرأ عليه حمزة...).

وقال العلامة الحلي: (حمران بن أعين الشيباني، كوفي مولى، تابعي مشكور... وقال علي بن أحمد العقيقي: انه عارف...)، وقال ابن داود: (حمران بن أعين أخو زرارة ممدوح معظم).

وقال السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية في ترجمة آل أعين: (قال أبو غالب الزراري في رسالته: وكان حمران من أكابر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشك فيهم وكان أحد حملة القرآن ومن يعد ويذكر اسمه في كتب القراء)

شهادة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم له بحسن العقيدة والجنة

عن أبي خالد الأخرس، قال: (قال حمران بن أعين، لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إني حلفت ألا أبرح المدينة حتى أعلم ما أنا، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: فتريد ماذا يا حمران؟ قال: تخبرني ما أنا؟ قال: أنت لنا شيعة في الدنيا والآخرة).

وعن ابن أبي عمير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (حمران بن أعين مؤمن لا يرتد والله أبدا، ثم أطرق هنيئة ثم قال: أجل لا يرتد والله).

وعن زيد الشحام، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (ما وجدت أحدا أخذ بقولي وأطاع أمري، وحذا حذو أصحاب آبائي غير رجلين رحمهما الله: عبد الله بن أبي يعفور، وحمران بن أعين. أما إنهما مؤمنان خالصان من شيعتنا أسماؤهما عندنا في كتاب أصحاب اليمين الذي أعطى الله محمدا صلى الله عليه وآله).

وعن هشام بن الحكم، قال: سمعته يقول: (حمران مؤمن لا يرتد أبدا. ثم قال: نعم الشفيع أنا وآبائي لحمران بن أعين يوم القيامة نأخذ بيده ولا نزايله حتى ندخل الجنة جميعا).

قدح أهل السنة فيه لأجل تشيعه لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم

قال النسائي في (كتاب الضعفاء والمتروكين ص١٦٧): (حمران بن أعين ليس بثقة)، وقال العقيلي في كتابه الضعفاء (ج١ ص٢٨٦ ـ ٢٨٧): (حمران بن أعين أخو عبد الملك كوفي حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا صالح بن أحمد قال حدثنا علي بن المديني قال سمعت سفيان يقول كانوا ثلاثة أخوة عبد الملك بن أعين وحمران بن أعين وزرارة بن أعين كانوا شيعة وكان أشدهم في هذا الأمر حمران بن أعين حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا عباس قال سمعت يحيى بن معين قال حمران بن أعين وعبد الملك بن أعين ليسا بشيء).

وعن احمد بن حنبل في كتابه العلل ج١ ص٥٥١: (سألته عن عبد الملك بن أعين فقال كان يتشيع وقد روى عنه سفيان وأخوه حمران بن أعين كان يتشيع).

وعن احمد بن حنبل أيضا ج٣ ص٦: (سألت يحيى عن عبد الملك بن أعين فقال كوفي ليس به بأس فقلت له أخوه حمران بن أعين فقال هو من الشيعة الكبار).

بعض الأخبار التي نقلها حمران بن أعين

وهي كثيرة جدا اخترنا منها قوله: (كان أبو محمد علي بن الحسين عليهما السلام قاعدا في جماعة من أصحابه إذ جاءته ظبية فتبصبصت وضربت بيدها فقال أبو محمد: أتدرون ما تقول الظبية؟ قالوا لا قال تزعم أن فلان بن فلان رجلا من قريش اصطاد خشفا لها في هذا اليوم وإنما جاءت إلي تسألني ان أسأله ان تضع الخشف بين يديها فترضعه فقال علي بن الحسين لأصحابه قوموا إليه فقاموا بأجمعهم فاتوه فخرج إليهم قال فداك أبي وأمي ما حاجتك فقال أسألك بحقي عليك إلا أخرجت إلي هذه الخشف التي اصطدتها اليوم فأخرجها فوضعها بين يدي أمها فأرضعتها ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام أسألك يا فلان لما وهبت لي هذه الخشف قال قد فعلت قال فأرسل الخشف مع الظبية فمضت الظبية، فتبصبصت وحركت ذنبها فقال علي بن الحسين عليه السلام: أتدرون ما تقول الظبية؟ قالوا لا قال: إنها تقول رد الله عليكم كل غائب وغفر لعلي بن الحسين كما رد علي ولدي).

ومنها: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله إذا كان من أمره أن يكرم عبدا وله ذنب ابتلاه بالسقم، فإن لم يفعل ذلك ابتلاه بالحاجة، فإن لم يفعل ذلك شدد عليه الموت ليكافئه بذلك الذنب، وإذا كان من أمره أن يهين عبدا وله عنده حسنة صحح بدنه، فإن لم يفعل ذلك وسع له في معاشه، فإن هو لم يفعل هون عليه الموت ليكافئه بتلك الحسنة).

ومنها: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن كل ملك خلقه الله عز وجل وكل نبي بعثه الله وكل صديق وكل شهيد شفعوا في ناصب لنا أهل البيت ان يخرجه الله عز وجل من النار ما أخرجه الله أبدا).

ومنها: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليه السلام قاعدا في بيته إذ قرع قوم عليه الباب فقال: يا جارية انظري من بالباب فقالوا: قوم من شيعتك فوثب عجلان كاد ان يقع فلما فتح الباب ونظر إليهم رجع فقال: كذبوا فأين السمت في الوجوه؟ أين اثر العبادة؟، أين سيماء السجود؟ إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم قد قرحت العبادة منهم الآناف ودثرت الجباه والمساجد، خمص البطون، ذبل الشفاه، قد هيجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليالي وقطع الهواجر جثثهم، المسبحون إذا سكت الناس والمصلون إذا نام الناس والمحزونون إذا فرح الناس، يعرفون بالزهد، كلامهم الرحمة وتشاغلهم بالجنة).

موعظة(١)

روى الصدوق رحمه الله بإسناده عن قيس بن عاصم قال: وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت وعنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: يا نبي الله عظنا موعظة ننتفع بها، فإنا قوم نعبر (نعمر) في البرية.

فقال رسول الله: يا قيس إنّ مع العزّ ذلاً، وإنّ مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإنّ لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإنّ لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، ولكل أجل كتاباً، وإنه لابد لك يا قيس من قرين يدفن معك، وهو حيّ وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلاّ معك ولا تبعث إلاّ معه، ولا تسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنّه إن أصلح آنست به وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه وهو فعلك.

فقال: يا نبي الله أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخره، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يأتيه بحسان.

قال: فأقبلت أفكر فيما أشبّه هذه العظة من الشعر فاستتب لي القول قبل مجيء حسان فقلت: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقلت:

تخير خليطاً من فعالك إنّما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بدّ بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل
ألا إنّما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل

نبش قبر الحر الرياحي(٢)

من كتاب الأنوار النعمانية: قال حدثني جماعة من الثقات ان الشاه إسماعيل لما ملك بغداد أتى إلى مشهد الحسين عليه السلام، وسمع من بعض الناس الطعن على الحر الرياحي، أتى إلى قبره وأمر بنبشه فنبشوه فرأوه نائماً كهيئته لما قتل، ورأى على رأسه عصابة مشدودة فأراد الشاه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السير والتواريخ أن تلك العصابة هي دسمال الحسين عليه السلام، شد بها رأس الحر لما أصيب في تلك الواقعة ودفن على تلك الهيئة، فلما حلوا تلك العصابة جرى الدم من رأسه حتى امتلأ منه القبر، فلما شدوا تلك العصابة انقطع الدم، فلما حلوها جرى الدم، وكلما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم، فتبين لهم حسن حاله، فأمر فبني على قبره بناء، وعين له خادماً يخدم قبره(٣).

١ـ أمالي الصدوق: ص١٢، المجلس الأول ح٤.
٢ـ الكشكول البحراني: ١ ـ ٢٤٤.
٣ـ عبر من التاريخ: الشيخ باقر المحسني، ج١ ـ ص٢٤٨ ـ ٢٥٠.

الأسئلة العلمية لدى الأطفال

تتعدد أسئلة الأطفال العلمية وتتنوع، فمنها ما يتعلق بالظواهر الطبيعية، ومنها ما يتعلق بعلم الأحياء، ومنها حول الإنسان، ومنها ما يتعلق بالكون والظواهر الكونية. ولدينا مجموعات كثيرة من الأسئلة من الممكن أن نوردها أمثلة على ذلك، ولكن في البداية لابد من أن نناقش مسألة مهمة، وهي لماذا تكثر أسئلة الأطفال العلمية؟

من صفات الطفل حبه الاستطلاع، وخاصة الاستطلاع العلمي، فكل ما يحيط به يدفعه للتساؤل، فهو فضول بطبعه يسعى إلى الحصول على إجابات بشأن العالم المحيط به. وهذه فرصة مناسبة للمربين لتنمية الروح العلمية عند الأطفال. وينصح عادة بمساعدة الأطفال على القيام ببعض التجارب العلمية البسيطة ليحصلوا على الإجابة بأنفسهم.

وفي البحث قامت به الكاتبة حول أسئلة الأطفال تبين أن ٤٩،٥٪ من مجموع أسئلة الأطفال عينة البحث أسئلة علمية، وبذلك تكون هذه الأسئلة قد احتلت المرتبة الأولى.

١- اكتساب الطفل للعلم والمعرفة مهمة لا تنتهي

يقول الدكتور سبوك في كتابه مشكلات الآباء في تربية الأبناء (إنك تحلم بأن يكون ابنك ماهراً هذا من حقك ولكن من حق الطفل عليك أن تجعل رحلة المهارة مشوقة ولذيذة بحيث يقبل الطفل عليها باستمرار، ويتدرب عليها عدة شهور ثم أخيراً تستطيع أن تهنئ نفسك بأن ابنك قد أصبح ماهراً في المجالات التي تطرحها عليه مراحل العمر).

من هذا القول ننطلق لنؤكد أن العلوم الطبيعية تدخل في حياة كل فرد، وتتجلى في بيئته التي يستمد منها العيش والعون في سبيل بقائه وحفظه وتقدمه ورفاهيته. فمعلوماته عن الطبيعة ونواميسها تساعده على تسخير قواها لحاجاته الضرورية التي لا يمكنه العيش من دونها، كالمأكل والمشرب والملبس والمأوى والزراعة والصناعة ووسائط الانتقال من مكان إلى آخر، فهي لهذه مهمة لها أهمية حياته نفسها، وكلما كان اطلاعه على ما فيها من قوى ومؤثرات كبيرا أمكنه الاستفادة منها على نحو أحسن. خاصة أن الجهد البشري بجهود العلماء الطبيعيين استطاع أن يكشف النقاب عن طاقات الطبيعة الهائلة التي يمكن استغلالها لنفع البشرية، وخدمة الإنسان والحيوان والنبات خدمات مهمة، ولإنجاز كثير من مهام الإنسان حتى أصبح كأنه لا يستطيع العيش من دونها بعد أن اكتشف قوانينها وضرورتها. ولهذا فقد أمكنه توفير كل ما يعود بالنفع عليه منها في سبيل تأمين بقائه وتحسين ظروف عيشه وارتياحه ولعل في استخدام القوى البخارية والحرارية والكهربائية والطاقة الذرية في الأغراض السليمة خير دليل على أهمية العلوم الطبيعية للإنسان.

والعلوم ليست حقائق مستقرة وثابتة، وإنما هي في المعرفة الإنسانية آخذة بالنمو وبالاتساع بصورة مستمرة يوماً بعد يوم، والاكتشافات الحديثة آخذة بالتزايد جيلاً بعد جيل، في الوقت الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة والثورة المعلوماتية تحاصر الإنسان في كل مكان.

وعن طريق دراسة الطبيعة ازدادت معارف الفرد المتعلم عن المظاهر الطبيعية وقواها وأنواع الطاقة المتوافرة فيها واتسع فهمه لقوانينها.

وعلى المربين (آباء – أمهات) أن يحفزوا أطفالهم منذ وقت مبكر على الاحتكاك بالطبيعة والخروج إلى الفضاء الرحب حيث يجدون متسعاً من الوقت للتعرف على المشاهد الطبيعية برؤيتها إن أمكن، والشعور بالظاهرة الطبيعية في محيطها.

إن احتكاك الأطفال بالطبيعة يمكنهم من الحصول على الخبرات بأنفسهم، ويولد لديهم حب الاستطلاع والتساؤل والاكتشاف ولو لم يكن عند الأطفال حب للتساؤل علينا أن ننمي لديهم هذا الحب، وأن نطرح عليهم الأسئلة بكثرة؛ لأن هذه الأسئلة هي مفتاح تنمية مدركات الأطفال، وعندما يسمعها الطفل يجب أن نطلب منه التفكير في إجابة ونقول له: ابحث واسأل نفسك، والهدف من ذلك دفع الطفل لكي يفكر ويأخذ قراراته، ويفكر بوضوح، وبالتالي تتكون لديه عادة طرح الأسئلة ومحاولة البحث عن إجابات.

إن الجدل داخل الطفل وحواره مع نفسه ونقاشه الذي يدور داخل عقله من أهم الأساليب التي تنمي قدرات الإنسان العقلية والذكاء عموماً.

إن إرهاصات الاستقصاء تحدث غالباً عندما يطلب من الطفل أن يذهب إلى أبعد من المعلومات المعطاة ليكتسب معلومات جديدة، وليكون التعميمات الخاصة به وقد تأتي أسئلة الأطفال نتيجة حدث يثير حب الاستطلاع لديهم، أو مشاهدة تتحدى تفكيرهم أو عدم قدرهم على تقديم تفسيرات مناسبة لحوادث أو ظواهر يشاهدونهم.

والطفل قادر وراغب في القيام بإجراء التحريات والاستقصاءات والاستنتاج لكل ما تشتمل عليه بيئته الطبيعية ولو بصورة مبسطة، ومع العلم بأن تعرف الطبيعة والمفاهيم العلمية لم يكن بقصد منها أن تكون عميقة ومتسعة الجوانب بما يتجاوز حدود القابليات الذهنية لدى الطفل. كما أنه ليس (علماً مصغراً) بشكل يكون سطحياً يستخف الطفل به، وإنما هو من السعة والعمق بحيث يتناسب ودرجة

نضجه، ويعالج المواضيع نفسها التي يتناولها الكبار إلى حد ما ولكنه لا يتعمق كثيراً فيها.

والواقع أن ملاحظة عابرة لأي طفل صحيح وسليم العقل، ترينا أن قوة حب الاستطلاع فيه تدفعه إلى أن يتحرى وينقب ويحقق ويكتشف ويجرب باستمرار. وتدريب الأطفال على الأسلوب العلمي في التفكير هدف معرفي مهم يبدأ الطفل بالتساؤل ثم البحث ثم التجريب ثم الاكتشاف. وبذلك علينا تشجيعه على التساؤل باستمرار.

٢-الأسـئلة العلمية التي يكررها الأطفال

الأسئلة التي تدور حول موارد البيئة والكائنات الحية:

قد تكثر أسئلة الأطفال حول موارد البيئة والكائنات الحية، وهي غالباً من النوع اليسير والذي من السهل على الآباء الإجابة عنها، وربما يكون بعضها صعباً بعض الشيء نظراً لأن الإجابة عنها تتطلب تفصيلات معمقة قد لا يلم بها كل الآباء.

فقد يسألك طفلك أين يوجد الهواء؟ وتجيبه في كل مكان ولا تكفيه هذه الإجابة بل يسألك لماذا لا نراه؟ وتجيبه بأنه عديم اللون لكن نشعر به ونستدل على وجوده بتحريكه للأشياء. وهنا أقول: لا تقفوا عند هذا الحد وتطبيقاً لما تحدثنا عنه في الفقرة السابقة ابدؤوا بالتجارب عن طريق المروحة الكهربائية وتشغيلها وطرح أسئلة على الطفل بماذا تشعر؟ وهنا تكون قد دفعت بطفلك من التساؤل إلى البحث والتجريب والا تدعه يصدر تعميماته من تجربة واحدة بل أحضر بالوناً وانفخه واطلب من الطفل أن يضع يده على فوهة البالون وأساله بم تشعر؟ واطلب منه النظر إلى شجرة تتحرك أغصانها واجعله يبحث عن إجابته بنفسه. وهنا تكون قد انتقلت بالطفل من التساؤل إلى البحث ثم التجريب ثم الاكتشاف.

وها نحن نورد حواراً بين طفل وأبيه عن سؤال طرحه الطفل على أبيه وهو لماذا لا يطير كالعصفور؟

الأب: لأن للعصفور جناحين، وليس لك مثل جناحيه وجسمه صغير وجسمك كبير.

الطفل: لماذا لا تطير الدجاجة مع أن لها جناحين.

الأب: لأن الدجاجة نحن نطعمها ونحميها أما العصفور فهو يبحث عن الحماية والطعام له ولصغاره.

وإذا أمكن اصطحاب الطفل لرؤية أعشاش الطيور يكون ذلك أمراً جيداً، وإن تعذّر فيمكن الاستعانة بالصور.

الأسئلة حول بعض الظواهر الكونية:

قد يسأل الطفل أسئلة تتعلق بالظواهر الكونية محاولة منه فهمها والبحث عن تفسير لها والأسباب الكامنة وراء حدوثها.

فقد يسأل الطفل عن تعاقب الليل والنهار (لماذا يوجد ليل؟ لماذا يوجد نهار؟) أجبه بأن الأرض تدور والشمس تذهب لمكان آخر من الأرض ونورها القوي يذهب معها، وتستمر الأرض في الدوران، وتعود لنا الشمس مرة أخرى، فيعود النور ولا تكتفي بهذا بل جرب له تجربة بسيطة من خلال كرتين أحدهما كبيرة وتمثل الشمس وليكن لونها أحمر أو برتقالي وصغيرة تمثل الأرض وتلون بلونين (أبيض واسود) ثم ضع الكرة الصغيرة التي ترمز للأرض على مسافة مناسبة من الكرة الكبيرة التي تمثل الشمس ثم أدر الكرة الصغيرة بيدك لتدور حول محورها وبين للطفل بأن الأرض تدور حول نفسها مثل الكرة، فإذا أتى نصفها الأبيض تصبح الدنيا نهاراً، وإذا أتى نصفها الأسود أصبحت الدنيا ليلاً.

ولا يقف الطفل عند هذا الحد بل سيسأل:

١- من أين تأتي الشمس؟ وأين تذهب؟ ولماذا لا تطلع في الليل؟

٢- لماذا يطلع القمر بالليل؟ أين يذهب في النهار؟

٣- لماذا هناك برق ورعد (لأن اصطدام السحاب يصدر صوتاً وضوءاً).

أجب بنفس مستوى وأسلوب الإجابة السابقة.

٣- الأسئلة التي تدور حول الأجهزة المنزلية:

يدهش الطفل بجهاز التلفاز ويحاول البحث عن سره وكيف يدخل الناس داخله ولماذا لا يدخل معهم؟ وهل يروننا مثلما نراهم. والحقيقة أن مثل هذه الأسئلة تتطلب شرحاً علمياً متعمقاً قد لا يصل لذهن الطفل بوضوح، ولكن بإمكانك استخدام كاميرا الفيديو المنزلية وتصور بها وتعرض الصورة وتقول له إن العملية تسير بهذا الشكل وإن هنالك تلفزيوناً كبيراً يصور الناس في مكان معين ثم يرسل صور هؤلاء الناس في الهواء فيلتقطها التلفزيون في المنزل عن طريق الهوائي (الإرسال).

وعرف طفلك على الهوائي والسلك الموصول بينه وبين جهاز التلفزيون لتكون إجابتك مقنعة.

وقد يسأل الطفل عن المذياع وعن الهاتف فلا تقف حائراً وجرب له تجربة الهاتف بالمنزل عن طريق علبتين من المعدن فارغتين موصولتين بخرطوم فارغ، ودع الطفل يضع أذنه على واحدة، وتحدث في الثانية، وبذلك تكون قد شرحت له آلية العمل من خلال طرح السؤال ثم البحث والتجريب والاستكشاف، وابتعد عن الإجابات الجاهزة وابحث عن إجابات بسيطة.

ولا تنس أن تستغل الفرصة للتوضيح للطفل عن كيفية استخدام الأجهزة المنزلية وخاصة الكهربائية لتجنبه خطر استخداماتها وخطر الكهرباء، فيتعلم الطفل كيفية وصل الكهرباء لجهاز التلفاز خيراً من تحذيره من وضع يده على موصل الكهرباء[1].

١- كيف أجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره: أ. د. سلوى مرتضى، ص ٨٣-٨٩.

نبات القرنفل

هي شجرة دائمة الخضرة، لها شكل مخروطي، مزهرة ذات زهر رباعي الأجزاء، ولها رائحة عطرية قوية، يبلغ متوسط طول شجرة القرنفل من ١٠ إلى ١٢ متر ويصل أحيانا إلى ٢٠ متر، وهي واحدة من أقدم وأشهر التوابل، وبذورها تشبه المسامير وهي أكثر أجزائها استعمالا وتسمى كذلك بعود النوار ويكون لونها أحمرا ويتحول إلى البني عندما تصبح يابسة.

تستخدم بذورها المجففة كبهارات في الكثير من الأطعمة. بالإضافة إلى تأثيراته الطبية الكثيرة المفيدة.

يوصف القرنفل بأنه طارد للحمى، مطهر، ومعقم للمعدة، يشفي من القروح والام الرأس ويحمي من الاوبئة ويساعد على الهضم ويسكن الام الاسنان ويخفف التهابات الحساسية وينبه القلب والمعدة. ويستخرج من بذور القرنفل زيت طيار يسمى الأوجينول الذي له خصائص علاجية خاصة لآلام الأسنان، ويمكن كذلك استخراج الزيت من سوق شجرة القرنفل وأوراقها عن طريق التقطير.

القرنفل كمنتج نباتي يحتوي علي العديد من المواد الغذائية المفيدة، فملعقتين شاي من مسحوقه تحتويان ١٤ كالورى (سعر حراري)، وكمية عالية من المغنيز تغطي ٦٦٪ من الحاجة اليومية، وكمية جيدة جداً من زيوت أوميغا-٣ والألياف وفيتامين سي، وكمية جيدة من المغنيزيوم والكالسيوم.

أصل القرنفل

موطن القرنفل الأصلي جزر مولوكا بإندونيسيا وجنوب الفلبين. ويزرع القرنفل اليوم على نطاق واسع في عدة بلدان مثل تنزانيا ومدغشقر وجبال الأنديز والبرازيل.

تزرع الشجرة من البذور في فصل الربيع أو من فسائل شبه ناضجة في الصيف، وتقطف براعم الأزهار غير المتفتحة مرتين في السنة عندما تنمو وتجففها الشمس.

تناول القرنفل

قبل تناول مستحضرات القرنفل وزيوته (وليس مجرد إضافة كميات قليلة إلى الطعام أو القهوة) فإن هناك من عليه أن يستشير طبيبه في الأمر، فمن لديه اضطرابات في ضغط الدم ويتناول علاجات لذلك أو من لديه مرض السكري ويتناول أدوية لخفض نسبة السكر في الدم أو من لديه أحد أمراض القلب ويتناول الأسبرين أو غيره من الأدوية التي تتسبب في زيادة سيولة الدم، فهؤلاء عليهم الحذر. والسبب أن القرنفل لديه خصائص في خفض مقدار ضغط الدم وخفض نسبة السكر في الدم و كذلك في زيادة سيولة الدم، كل هذه الآثار الطبية تتطلب من المريض والطبيب التعاون في عدم المعاناة منها كالانخفاض الحاد في نسبة سكر الدم مثلاً نتيجة تناول كميات مركزة من القرنفل بالإضافة إلى الأدوية الخافضة للسكر، وهكذا بالنسبة لسيولة الدم وضغط الدم.

فوائد ومضار

لكن لا توجد مؤشرات طبية تحدثت عن آثار ضارة ثابتة للقرنفل بل إن لجنة الخبراء في ألمانيا أقرت استخدام القرنفل كمطهر ومخدر موضعي، لكن الفوائد الطبية الأخرى وتحديداً كمرهم لتأخير القذف أو في علاج حالة التجويف الخالي وهو ما يحصل أحيانا بعد خلع الضرس ويسبب ألماً شديداً ويكون الموضع عرضة للالتهاب، أو علاج ارتفاع درجة الحرارة فإنها كلها تحتاج إلى مزيد من الدراسات لإثبات فائدتها للإنسان.

فبالنسبة لعلاج سرعة القذف فقد أجريت دراسة واحدة أثبتت فائدة لكن المعجون المستخدم كمرهم خارجي

احتوى على العديد من المواد الأخرى مما يصعب معه التحقق من فائدة أحد المركبات بعينها كالقرنفل مثلاً.

والدراسة التي فحصت فائدة زيت القرنفل مع معجون أكسيد الزنك في معالجة التجويف الخالي للأسنان وإن كانت نتائجها مشجعة جداً لكنها تحتاج أن تكون بشكل يشمل مرضى أكثر وأدق متابعة.

خفض الحرارة كفائدة للقرنفل ثابت من تجارب الحيوان لكن الدراسة على الإنسان هي ما تدعو الحاجة إليه قبل نصح الناس به. وهناك قائمة طويلة من الفوائد التي ينسبها البعض إلى القرنفل تحتاج إلى بحث للتأكد منها كخفض الكوليسترول وعلاج السرطان والتهابات الفيروسات وأمراض الصدر كالربو.

الحساسية من مركبات القرنفل ثابتة وخاصة من مادة إيوجينول وهو ما يوجب الحذر. لكن بشكل عام فإن القرنفل منتج نباتي آمن، لكن مرضى الفشل الكلوي وفشل الكبد أو الصرع عليهم تجنب تناول كميات عالية منه. القرنفل أو ما يطلق عليه المسمار هو البراعم الجاف لزهرة نبتة دائمة الخضرة موطنها الأصلي هو الجزر الأندونيسية. وتستخدم ضمن التوابل في تحسين طعم الأكل وكذلك كإضافة للقهوة في غالب ما تحضر منه القهوة العربية المرة، والبعض في جنوب شرق آسيا يضيفه إلى ورق تبغ السجائر.

الشمس

ـ تعتبر الشمس قزماً أصفر إذا ما قيست بغيرها من النجوم.

ـ تبعد عنا ٨ دقائق ضوئية وأقرب نجم بعدها يبعد عنا ٤ سنوات ضوئية.

ـ من أكبر صفاتها أنها نجم متزن تعطي مقداراً ثابتاً من الطاقة وهذا هو سبب الحياة على الأرض.

ـ يبلغ قطر الشمس: ١٣٩٢،٠٠٠كلم.

ـ بعدها الأدنى عن الأرض: ١٤٧،١٠٠،٠٠٠كلم.

ـ بعدها الأقصى عن الأرض: ١٥٢،١٠٠،٠٠٠كلم.

ـ كتلتها: ٣٣٢٩٤٦ كتلة الأرض.

ـ حجمها: ٩٨،٨٪ من مجموع نظامها كله.

ـ حرارتها: ١٥،٦٠٠،٠٠٠ في مركزها الداخلي.

٥٨٠٠ على السطح

٤٥٠٠ في محيط البقعة (شبه الظل)

٣٨٠٠ في مركز البقعة (الظل)

١،٠٠٠،٠٠٠ في الاكليل.

ـ قبل معرفة السنة الضوئية كانت المسافة بين الأرض والشمس هي الوحدة الفلكية المستعملة في قياسات الأبعاد في الفضاء.

ـ كثافتها: ١،٤١

ـ سرعتها: ٢٢٠كلم في الثانية.

ـ مدة دورانها: ٢٥ يوماً أرضياً في خط الاستواء فيها.

٣٥ يوماً أرضياً في القطبين.

ـ قدر الاضاءة ٢٦،٧.

ـ كشف المعلومات التي جمعتها مركبة الفضاء الأمريكية (سرهو) إن غاء مغناطيسيا هائلا يلف سطح الشمس وينقل كميات كبيرة جدا من الطاقة الحرارية إلى أعلى طبقات الجو المحيطة بالشمس. فتصل إلى حوالي مليون درجة بينما لا تتجاوز هذه الحرارة على سطح الشمس ستة آلاف درجة مئوية.

ومن غرائب تلك المعلومات أيضاً أن حوالي ٥٠ ألف موجة مغناطيسية تصدد في وقت واحد عن سطح الشمس تستمر حوالي ٤٠ ساعة ثم تنتقل إلى مكان آخر عليه. وكان من الصعب على العلماء فهم طريقة انبعاث هذه الظاهرة القصيرة من المصدر المغناطيسي الرئيسي الذي يقع على عمق ٢٠٠ ألف كلم تحت سطح الشمس. ولا تزال المعلومات حول هذه الظاهرة غير مكتملة وغير دقيقة.

ـ كما كشفت المعلومات أن حقل الشمس المغناطيسي قوي جداً ومعقد جداً وهو يمتد إلى ما وراء بلوتو.

طبقات الشمس

إن سطح الشمس يسمى (فوتوسفير) تبلغ حرارته حوالي ٥٨٠٠ درجة مئوية. فبالإضافة إلى البقع التي يشكلها الاضطراب الدائم في سطح الشمس فإنه يشكل أيضاً ما يعرف بالحبيبات (**Granules**) من مختلف الأحجام يصل طول بعضها إلى حوالي ثمانية آلف كلم.

هناك أيضاً طبقة تعرف بـ(كروموسفير) وهي طبقة قرمزية من الغاز تكتنف الشمس. وتسمى جو الشمس أيضاً.

المناطق العالية فوق الـ(كروموسفير) وهي طبقة قرمزية من الغاز تكتف الشمس. وتسمى جو الشمس أيضاً.

المناطق العالية فوق الـ (كروموسفير) تسمى (كورونا) أو إكليل الشمس وهو يمتد ملايين الكيلومترات في أعماق الكون الشاسعة ولكننا لا نراه إلا عند كسوف الشمس وهو ذو حرارة عالية جداً تبلغ حوالي مليون درجة مئوية.

الرياح الشمسية

بالإضافة إلى النور والحرارة التي تنتجها الشمس فهي تطلق موجات هائلة من الجزئيات المشحونة في معظمها (الكترونات وبروتونات) تصبح سيلاً متدفقاً من الغازات تشكل ما يعرف بالريح الشمسية؛ فتنتشر في النظام الشمسي بسرعة تقدر بحوالي ٤٥٠ كلم في الثانية.

إن الرياح الشمسية والطاقة الحرارية العالية للجزئيات المندفعة من اللهب المتأجج لها تأثيرات سلبية وأحياناً مأساوية على الحياة على الأرض وقد زودتنا سفن الفضاء. بمعلومات في غاية الأهمية عن دورة الشمس وحركة الرياح الشمسية المنطلقة من مناطق الشمس القطبية فقد أظهرت أن سرعة هذه الرياح تزداد حتى تصل إلى ٧٥٠ كلم في الثانية سيما في المناطق المنخفضة من خطوط العرض.

كذلك فإن للرياح الشمسية تأثيرات بالغة على المذنبات وعلى سير السفن الفضائية أيضاً.

١ـ الكون العظيم ـ نجيب محمود زبيب، ص٣٥١ـ٣٥٥.
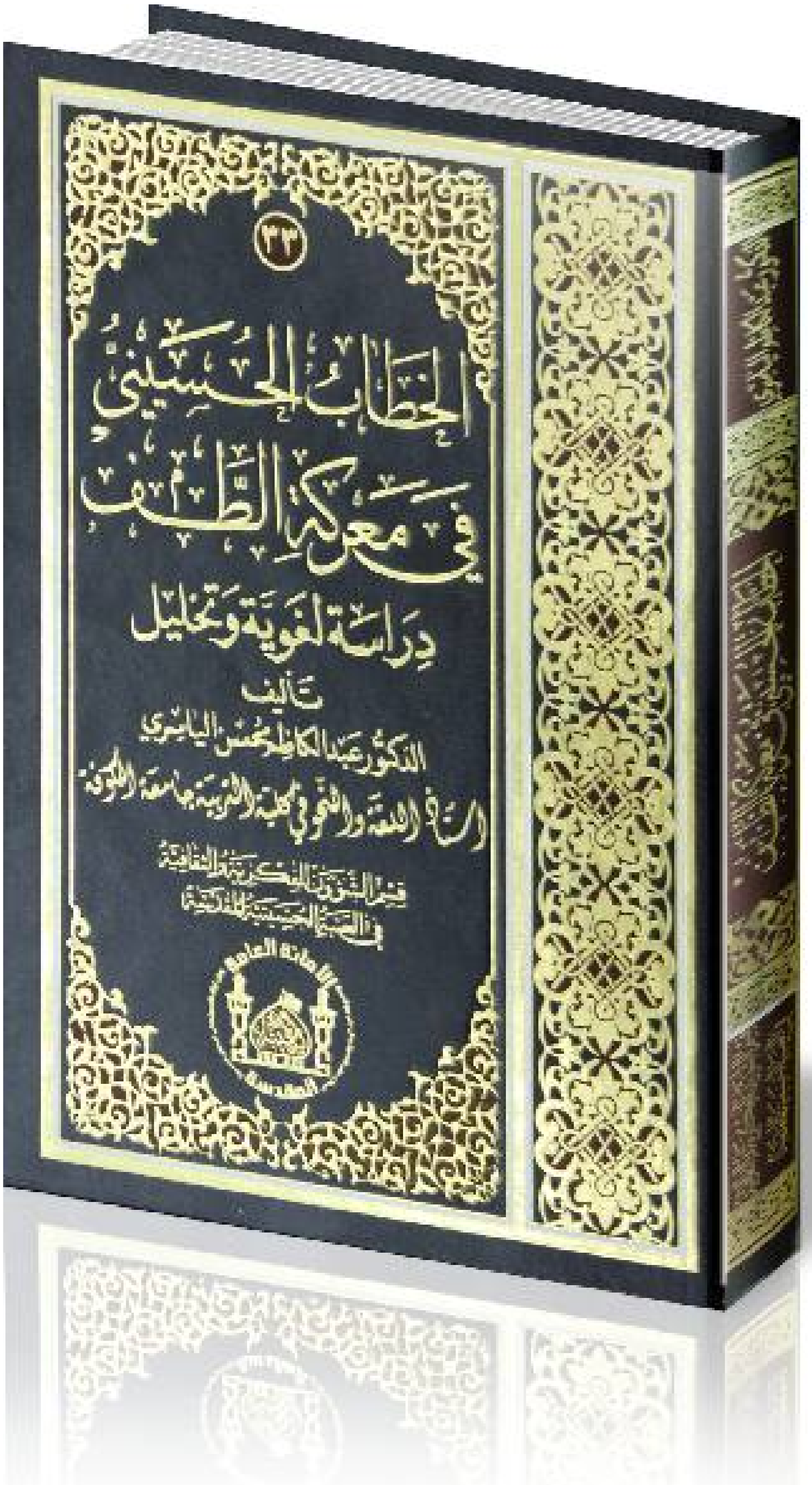
صدر حديثاً عن **وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام** في قسم الشؤون الفكرية والثقافية، دراسة لغوية وتحليل بعنوان: «الخطاب الحسيني في معركة الطف» للدكتور عبدالكاظم الياسري (أستاذ اللغة والنحو في جامعة الكوفة) وقد اشتملت الدراسة على خمسة فصول، خصص الفصل الأول لدراسة روافد الخطاب الحسيني، فيما كان الفصل الثاني مخصص لدراسة الخطاب الحسيني في بلاد الحجاز. وفي الفصل الثالث قام الأستاذ الدكتور بدراسة الخطاب الحسيني في مرحلة المسير الى كربلاء. فيما شملت الدراسة في الفصل الرابع دراسة الخطاب الحسيني في كربلاء. بينما خصت الدراسة في مراحلها الأخيرة دراسة الخطاب الحسيني من حيث المنشئ والمقام وبيان ابعاد هذا الخطاب ضمن عناوين محددة شملت العقائد والتربية والأخلاق والحماسة، والوعظ، والإرشاد والتذكير، ورفض الباطل، والإجتماع.